كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلة العلميـة

الفكر البلاغي والنقدي في الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني

إعداد

د/ سحر مصطفى إبراهيم المعنا

الأستاذ المساعد بكلية العلوم والآداب جامعة نجران

(العدد الثالث والثلاثون – الجزء الرابع ٢٠١٤م)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي وهب نورًا للعيون ، وفهمًا للعقول ، وجعل القرآن ربيعًا للقلوب.. والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، الذي جعله الله أفصح العرب وأبلغهم أجمعين ، وأرسله ناقدًا للشر ، وجالبًا للخير – صلى الله عليه وسلم– ورضي عن أهله وأصحابه أجمعين ومن سار على دربهم إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن أشرف العلوم وأكرمها: هي التي تخدم القرآن الكريم ، وسُنة نبيه العظيم ، وعلم البلاغة هو أول هذه العلوم ؛ إذ إنه أعظم علوم العربية نفعًا ، وأجلها قدرًا ، وأعلاها منزلةً ، وأكثرها فائدةً ؛ فبه نستطيع أن ندرك سر الإعجاز القرآني ، ومدى ما فيه من روعة البيان ، وجمال الأسلوب ، ودقة التركيب ، وحلاوة التعبير ، كما ندرك به – أيضاً – مدى أصالة البلاغة النبوية ، تلك البلاغة التي شهد بها القدماء والمحدثون على السواء للنبي – صلى الله عليه وسلم – .

ولعلم البلاغة أثره الكبير في تمييز جيد الشعر من رديئه ، وفصيحه من ركيكه، وبه نحكم لهذا الأديب أو ذاك بالإجادة والتميز ، أو بالفسولة والتقصير مثله في ذلك مثل النقد.

حيث إن " النقد في أدق معانيه هو فن دراسة النصوص ،والتمييز بين الأساليب المختلفة ،وهو روح كل دراسة أدبية. "[1]

(١) النقد المنهجي عند العرب لدكتور محمد مندور ص ١٤. ط / نهضة مصر للطبع والنشر

هذا وقد أتِيحَت الفرصة للجرجاني لأن يطلع على شعر أبي الطيب وغيره من الشعراء اطلاعًا يتسم بالدقة والتمحيص ، وقد كان للمتنبي في تلك الفترة مؤيدون ومعارضون ،مما جعل القاضي يتناول شعره بالدراسة المقارنة بينه وبين شعراء آخرين ، وقد وضع هذه الدراسة في مؤلف أسماه: " الوساطة بين المتنبي وخصومه ".

وقد كانت دراسة القاضي لشعر المتنبي في الوساطة قائمة على أسس من الفكر البلاغي والنقدي ، وتلك الدراسة هي التي جعلتُها محورًا لبحثي ، والذي بعنوان " الفكر البلاغي والنقدي في الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني" ، وكتاب الوساطة للجرجاني من الكتب النقدية المهمة التي أُلِّفت في القرن الرابع،إذ وصل النقد في هذا القرن " إلى أوجه ،فصار خصبًا ، متسع الآفاق ، معتمدا على الذوق الأدبي السليم ، مؤتنسًا بمناحي العلم في الصورة والشكل لا في الجوهر والروح. ..... وحمل رايته أدباء يتميز نقدُهم باستقصاء البحث وشمول الفكرة ، وتوضيح العلل ، والموازنة العامة بين الشعراء ، وعُنُوا بدراسة الشعر وتقدير رجاله ، وتخاصموا فيهم. ..... وعمرت بأحاديثهم مجالس الأدب، وسارت مقالاتهم وكتبهم في كل صُقْع وواد ، ومن هؤلاء. ..... الجرجاني..... فقد ظهر المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس ، واختصم الأدباء في شعره ، وقطعوا الأزمان المتواصلة في تحديد أغراضه ، وتعصب له فريق ، وغض من شأنه فريق ، وكان من الذين غضوا من شعره: الصاحب بن عباد ، وألَّف فيه رسالة سماها " الكشف عن مساوئ المتنبي ". ..... وكان أبو الفتح عثمان بن جني من ناحية أخرى يرفع من مقداره ، ويشيد من ذكره، وأصبح لكل منهما أشياع.

في هذه الحلبة وذلك المعترك ألَّف القاضي علي بن عبد العزيز كتاب " الوساطة ". ..... وليس كتاب الوساطة مختصّاً بشعر المتنبي كما يفهم من عنوانه ، بل إنه عَرَضَ للأصول الأدبية التي عرفت في

عصره ، وحلل أشعار القدماء والمحدثين ؛ وأورد كثيرًا من محاسنهم وعيوبهم ، وأبان ما شاع فيها من تعقيد وغموض ، وأخذ وسرقة واستعارة حسنة أو رديئة " [1].

وقد قسَّمت هذه الدراسة إلى: مقدمة ، وتمهيد ، وفصلين ، وخاتمة ، وفهارس فنية .

أما المقدمة : فقد ذكرت من خلالها: عنوان البحث ، وسبب العمل فيه ، وتقسيم الدراسة ، والمنهج الذي سرت عليه في هذا العمل ، وبعض الصعاب التي واجهتني ، وإشارة إلى بعض مراجع ومصادر البحث.

وأما التمهيد فقد تحدثت فيه عن: حياة القاضي من اسمه ، ونسبه ، تاريخ مولده ، تاريخ وفاته ، أسرته ، صفاته النفسية والخُلْقِيَة ، البيئات التي عاش فيها ، توليته القضاء ، ثقافته ، تلمذته، أستاذيته ، مؤلفاته ، شعره ، بيان موجز عن مضمون الوساطة.

وأما الفصل الأول ؛ فقد جاء تحت عنوان: (الفكر البلاغي في الوساطة) ، وقد شمل هذا الفصل ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: إشارات الجرجاني إلى مسائل من علم المعاني في كتابه الوساطة.

المبحث الثاني: إشارات الجرجاني إلى مسائل من علم البيان في كتابه الوساطة.

المبحث الثالث: إشارات الجرجاني إلى مسائل من علم البديع في كتابه الوساطة.

وأما الفصل الثاني ؛ فقد جاء تحت عنوان (الفكر النقدي في الوساطة) ، وقد شمل هذا الفصل ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: شخصية القاضي الجرجاني.

---

(١) الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني تحقيق وشرح الدكتور محمد أبو الفضل ابراهيم ، والدكتور عل محمد البجاوي ص ب ،ج ، د من الم قدمة ، ط / مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ت – ط ١٣٨٦ هـ _ ١٩٦٦ م .

المبحث الثاني: الأسس النقدية التي اعتمد عليها الجرجاني في وساطته.

المبحث الثالث: الآراء النقدية للجرجاني في الوساطة.

وأما الخاتمة ؛ فقد تحدثت فيها عن: النتائج المهمة التي توصلت إليها من خلال تلك الدراسة.

وأما الفهارس ؛ فقد شملت: فهرساً للمصادر والمراجع ، و فهرساً للموضوعات التي اشتمل عليها البحث.

وقد نهجت في هذا البحث نهج " الخطيب القزويني " في عرضه لعلوم البلاغة الثلاثة ؛إذ ذكرت ما وجدته من علم المعاني في الوساطة أولاً ، ثم ما وجدته من علم البيان ثانياً ، ثم ما وجدته من علم البديع ثالثاً.

على أنني لم أجد للقاضي منهجًا في عرضه للمسائل البلاغية ؛ حيث جاءت في كتابه متناثرة ، غير منظمة. إذ كانت البلاغة بفروعها لم تكن قد حددت أو تميزت أو اتضحت مسائلها بملامحها وخصائصها الحالية في عصر القاضي الجرجاني وحتى بعد عصره ببضعة قرون.

وإنما كانت نظرات جزئية متفرقة ، أو متناثرة لا تجمع بينهما نظرية عامة، ولا ما يشبه النظرية، ومع هذا فإننا نجد مسائل البلاغة التي تناولها الجرجاني أو أشار إليها في وساطته كانت موافقة لمسائل علم البلاغة عند المتأخرين ، وكان مفهوم معظمها لا يختلف كثيراً عن مفهومها عند البلاغيين المقعِّدين مثل الخطيب القزوينى.

وقد واجهتني صعاب منها:

- طول الكتاب ، وكثرة عدد صفحاته ؛ فظللت فترة طويلة لا أدري ماذا أفعل !!!.

هل أتناول كل ما في الكتاب بالدراسة ؟ أم أتناول نماذج محددة ؟ وبفضل الله انتهيت إلى: أني آتي بكل لمحة ،أو إشارة إلى البلاغة في الوساطة وأتناولها بالدراسة.

- **وأما بالنسبة للنقد ؛ فقد انتقيت بعض الآراء النقدية التي تكشف عن الشخصية النقدية للقاضي. إذ لو تناولتها جميعا لناء البحث بها.**
- **ومنها قلة تناول الباحثين لهذا الكتاب بالدراسة والتحليل اللهم إلا من الناحية النقدية.**

وقد رجعت في هذه الدراسة إلى مصادر قديمة ومراجع حديثة.

والله أسأل أن أكون قد وفقت في هذا العمل وأكون قد أخرجته في صورة لائقة مُرضيَة لله عز وجل ثم أساتذتي الأفاضل.

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

التمهيد

القاضي الجرجاني ونبذة عن حياته

اسمه ونسبه

هو أبو الحسن علي بن عبد العزيز بن الحسن بن علي بن إسماعيل ، وقد اشتهر بنسبته إلى جرجان (البلد الذي ولد ونشأ به) فعرف باسم "علي بن عبد العزيز الجرجاني ".

تاريخ مولده ووفاته:

لم ينص أحد على تاريخ ولادة القاضي الجرجاني ، لكن المؤرخين الذين ذكروا تاريخ وفاته كانوا يذكرون عمره ، فنستطيع من خلال كلامهم تحديد تاريخ مولده ؛فابن خلكان في " وفيات الأعيان " يروي عن مؤلف " تاريخ النيسابوريين " أنه توفي سلخ صفر سنة ست وستين وثلاثمائة ، وعمره ست وسبعون سنة ، وعلى ذلك يكون تاريخ ولادته سنة تسعين ومائتين.

ويرجح ابن خلكان هذه الرواية ، ويقول: " إنها أثبت وأصح "[١] ،وبعضهم جعله من المتوفين سنة ٣٩٢ هـ عن عدد من الستين دون السبعين وفوق السادسة والستين ؛ وعلى هذا تكون ولادته في العقد الثالث من القرن الرابع سنة ٣٢٣ هـ ، أو ٣٢٥ هـ. ، وهذا الرأى يستند إلى:

١- قول ياقوت: " ورد نيسابور سنة ٣٣٧ هـ مع أخيه أبي بكر ، وأخوه إذ ذلك فقيه مناظر ، وأبو الحسن قد ناهز الحلم فسمعا معًا الحديث الكبير " [٢]

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ،ج ١ ، ص٣٢٥ ، ط محمد محي الدين عبد الحميد ت ،ط سنة ١٩٤٩م .

(٢) معجم الأدباء لياقوت الحموي ج١٤ ، ص١٤ ، ط دار المأمون

٢- رواية أخرى لابن خلكان:

إذ يقول: " ورد به أخوه محمد نيسابور في سنة ٣٣٧ هـ ، وهو صغير غير بالغ ، وسمعا من سائر الشيوخ " [١]

ومن مؤيدي ومرجحي هذا الرأي على الرأي الأول الدكتور " أحمد بدوي "

إذ يقول: " أما أنا فأخالف ابن خلكان ، وأرجح هذه الرواية للأسباب الآتية:

أولها: أنى أرجح أنه مات بعد الصاحب بن عباد يقول الثعالبي: " وتصرفت به أحوال في حياة الصاحب وبعد وفاته: من الولاية والعطلة " [٢]

وقد توفي الصاحب سنة خمس وثمانين وثلاثمائة.

وثانيها: أنه اتصل بشمس المعالي قابوس بن وشمكير [٣]

الذي تولى الحكم في جرجان بعد سنة ست وستين وثلاثمائة [٤]

وثالثها: وهو يكاد يكون قاطعًا فيما ذهبنا إليه: أن الصاحب بن عباد قد صار وزيرًا ابتداءً من سنة ٣٦٦ هـ [٥].

أما قبل ذلك فكان كاتباً للأمير البويهي " مؤيد الدولة " ، وشعر القاضي الجرجاني فيه بصفة الوزير ؛ إذ يقول من قصيدة يهنئه فيها بالبرء من المرض:

إذ ألمت نفس الوزير تألمت لها أنفس تحيا بها وقلوب

ووالله لا لاحظت وجهًا أحبه حياتي ، وفي وجه الوزير شحوب

---

(١) وفيات الأعيان ، ج ٢ ، ص ٤٤٢

(٢) يتيمة الدهر ج ٤ ، ص ٣

(٣) راجع معجم الأدباء ،ج ١٤ ، ص ٣٠ / ويتيمة الدهر ج ٤ ، ص ١٥

(٤) تاريخ الدولة العباسية للخضري ، ص ٤٤١

(٥) الصاحب بن عباد ، ص ٢١

مما يدل على أنه كان متصلاً به بعد هذه السنة التي قيل إنه مات فيها ". (١)

والرأي الثاني هو الذي أخذ به بروكلمان وجعل غيره خطأ (٢).

أسرته:

أبوه: لا يُعرف عنه أكثر من اسمه ، ونسبه ، فهو عبد العزيز بن الحسن ابن إسماعيل الجرجاني.

أما أمه: فلا يُعرف عنها أي شيء.

وأما إخوته: فقد ذكر التاريخ أن له أخاً اسمه محمد. هو الذي ورد به نيسابور سنة ٣٣٧ هـ ، وكان وقتها فقيهًا مناظرًا ، كنيته " أبو بكر " ؛ كما يقول " ياقوت " (٣).

وأما أبناؤه: " فكان له ثلاثة من الأبناء: الأكبر محمد ، والأوسط أبو جعفر والأصغر أبو الحسن علي " (٤).

و" نقرر أن أسرة " علي بن عبد العزيز الجرجاني " كانت أسرة عربية صميمة. ..فقد رَأَيْنا " أبا القاسم العلوي الأطروشي " يرده إلى ثقيف بقوله:

لقد نمتك ثقيف يا علي إلى مجد سيبقي على الأيام والزمن

(١) القاضي الجرجاني ، للدكتور: أحمد بدوي ، ص ٢٤: ٢٥، ط دار المعارف بمصر ، ت-ط ١٩٦٤م .

(٢) تاريخ الأدب العربي لكارل بروكمان ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار ج ٢ ، ص ٢٧١.

(٣) معجم الأدباء ،ج ١٤ ، ص ١٤.

(٤) القاضي الجرجاني والنقد الأدبي للدكتور/ عبده قلقيلة ، ص ٢٨ ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ت-ط ١٩٧٣.

..... فلو أن أسرة أبي الحسن الجرجاني كانت فارسية ما مدحه " أبو القاسم" برده إلى ثقيف في الوقت الذي كان غير العربي يتبجح فيه بعجمته ، ويستعلي بها على الناس(١).

صفات القاضي الجرجاني النفسية والخِلْقية:

أولاً: صفاته النفسية:

كان القاضي الجرجاني يتمتع بصفات نفسية رائعة ؛ جعلته متميزًا خلقيًا ونفسيًا ، ومن هذه الصفات: -الذكاء - عزة النفس والأنفة من إذلالها -انقباضه عن الناس وإيثاره العزلة عنهم -الصراحة وحبه الصدق -الصبر -حبه الجمال - التواضع -الإخلاص.

ثانياً: صفاته الجسدية:

ليس في مصادر تاريخه ما يلقى ضوءًا ما على صورته الجسمانية ، ولم يرد في شعره الذي بقي لنا ما يشير إلى شيء من هذه الصورة ؛ ومن أجل ذلك أرجح أنه كان إنسانًا عاديًا لا ترى العين فيه شذوذًا يستوقفها " (٢).

البيئات التي عاش فيها القاضي وتأثر بها:

١) جرجان:

ولد علي بن عبد العزيز الجرجاني في مدينة جرجان ، وقامت نسبته إليها مقام لقبه فعرف باسم (علي بن عبد العزيز الجرجاني).

(١) القاضي الجرجانى والنقد الأدبي ص ٣٠.

(٢) ينظر القاضي الجرجاني ص ٣١ إلى ص٣٦

٢) نيسابور:

وهي البلدة التي كانت محط أنظار كثير من العلماء ، كما أن هذه المدينة خَرَّجت من أبنائها علماء كثيرون ، وقد زارها القاضي منذ أن كان صغيرًا في صحبة أخيه محمد ، وقد سمع معه الدروس ، وشهد العلماء ، وقد قيل: إنه قرر زيارتها بعد ذلك لكن هذا القول غير مؤكد أو موثق ؛ إذ لم يقل به أكثر المترجمين له.

٣) أصبهان:

وأصبهان إحدى البيئات التي استفاد منها القاضي ، وتأثر بها ، وقصدها أيام كانت رحلاته للتعلم.

فقد كانت أصبهان مركز إشعاع علمي ، وأدبي في هذا القرن.

٤) الرَّيِ:

كان الجرجاني قاضي الريِّ ، ثم قاضي قضاتها إلى أن مات بها ؛ أي أنه عاش فيها شطرًا كبيرًا من حياته.

٥) العراق:

إن الجرجاني قد أتى إلى بغداد وهو شاب ، وعاش فيها مدة لا بأس بها ؛ مدة تسمح له بأن يتعرف على نواحيها ، وأن تكون له في هذه النواحي ذكريات يحن إليها ، ويتوجع لها كلما ذكرها.

٦) بلاد خراسان وما وراء النهر:

ذُكر أن القاضي الجرجاني قد جاء هذه البلاد فأفاد واستفاد.

٧) مصر والشام:

هذه البيئة تهمنا لأنها إحدى البيئات التي خرجت صاحبنا الجرجاني ، أو على الأقل شاركت في تخريجه.

٨) الحجاز:

ذهب الجرجانى إليها وعاش فيها بعض الوقت وبخاصة في مكة. [١]

تولية القاضي الجرجاني القضاء:

وفي عودة من عودات الجرجاني إلى جرجان ، أو في زورة من زوراته لأصبهان التقى به "الصاحب" وتعرف عليه فأعجبه ، وأراد أن يعبر عن إعجابه به وتقديره له فولاه قضاء جرجان ، وكان ذلك قبل سنة ٣٦٦ هـ. ..ولما مات ركن الدولة سنة ٣٣٦ هـ تولى الصاحبُ الري ، ولما ثبتت أقدامه بهذه البلدة استدعى صديقه الجرجاني قاضيًا محليًا وأحل محله في قضاء جرجان أبا بشر الفضل ابن محمد الحسن ابن إبراهيم .[٢]

وفي غمرة هذا الود وفي نعيم هذا الإخاء والوفاء يموت الصاحب يوم الرابع والعشرين من صفر سنة ٣٨٥ هـ ، ولو وصل إلينا ديوان الجرجاني لرأينا له في رثائه قصائد دامعات داميات.

وبعد وفاة الصاحب ابن عباد ولاّه فخر الدين قاضي القضاة بالري وظل بهذه الوظيفة حتى موته [٣] .

ثقافته:

أغلب الظن أن "علي بن عبد العزيز" تلقى ثقافته الأولى ببلده "جرجان" ، فإن أول رحلة له في طلب العلم كانت إلى نيسابور حيث صحبه أخوه إليها وكان صغيرًا لم يبلغ الحُلم ؛ إذ توفي أبوه وهو في سن مبكرة ؛ فعنى بأمره أخوه محمد فلما أراد هذا الأخ أن يرحل في طلب العلم صحب معه في الرحلة أخاه الصغير وقصد نيسابور.

---

(١) ينظر القاضي الجرجاني والنقد الأدبي من ص ٧٦ إلى ص ١٠٧

(٢) تاريخ جرجان ص ٢٩٢.

(٣) ينظر القاضي الجرجاني والنقد الأدبي من ص ٤٣ إلى ص ٤٨.

ويظهر أنه أطال المقام في نيسابور ،أو أنه كان يتردد عليها في الحين بعد الحين ، ويطيل المقام مما جعل مؤرخ النيسابوريين يتحدث عنه في كتابه بل زعم أنه مات في نيسابور [١].

وتفتحت نفسه في هذه الرحلة لطلب العلم ، ورأى فيها مجالاً للاغتراف من الثقافة بأوفى نصيب ، فمضى يجوب البلاد الإسلامية ؛ ليلقى العلماء ويأخذ عنهم.

والراجح عندي أن ثقافة القاضي الجرجاني كانت عربية خالصة لم يتصل فيها بالنقد اليوناني، وربما يكون قد أَلمّ ببعض نواحي الفلسفة اليونانية مما مكنه من معالجة بعض الشعر الفلسفي للمتنبي. [٢]

مؤلفاته:

١- كتاب تفسير القرآن المجيد ، ذكره له ياقوت [٣].

٢- كتاب الوكالة، ذكره له السبكى في كتابه طبقات الشافعية.

٣- كتاب تهذيب التاريخ ، ذكره له ياقوت [٤] والثعالبي [٥].

٤- كتاب الإنسان.

٥- وله رسائل قال عنها ياقوت: إنها مدونة ولكن لم يرد إلينا منها شيء. ولم يورد الثعالبي منها شيء.

٦-الوساطة بين المتنبي وخصومه " وهو كتاب له قيمته الكبرى في النقد الأدبي وهو محل الدراسة.

---

(١) وفيات الأعيان ج ١ ، ص ٣٢٥.

(٢) القاضي الجرجاني والنقد الأدبي ص ٣٣

(٣) معجم الأدباء ج ١٤ ، ص ١٩.

(٤) السابق نفسه

(٥) يتيمة الدهر ج ٤ ، ص ٧.

٧- ديوان شعره .

" أما ديوان شعره فندر من المؤرخين الذين ترجموا له من لم يذكره ، على أن هذه القلة النادرة لم تسكت عن شاعريته بل نوهت بشعره عامة ، وبقصائده التي يتحدث فيها عن انقباضه عن الناس وانطوائه على نفسه خاصة " (١)

بيان موجز بمضمون الوساطة:

وضع القاضي الجرجاني كتاب الوساطة رسالة واحدة ذات مقالة واحدة لا أبواب فيها ولا فصول بدأها بالحديث عن التفاضل ،وأنه داعية التنافس وسبب التحاسد مع أن واجب العلماء والأدباء أن يتواصلوا ، ويحمي بعضهم عرض بعض ،وأن يعدلوا في أحكامهم (ص١-٢).

ثم ذكر موقف أهل الأدب من المتنبي وأنهم فئتان:

واحدة تطنب في تفريطه ، وأخرى تجتهد في إظهار عيوبه وإخفاء محاسنه مع أن لكل عالم هفوة ولكل شاعر سقطة ! ، وهنا يورد عددًا من أغاليط الشعراء (ص ١٤ – ٢٢).

ويصف المؤلف الأسلوب الممتاز عنده ويورد أمثلة لهذا الأسلوب من شعر البحتري وشعر جرير ، ويتحدث عما يرد في الأسلوب من ألوان البديع ، وكيف تكون الاستعارة حسنة حينًا وسيئة حينًا آخر (ص٢٣ – ٤٧).

ولكن القاضي الجرجاني لم يكثر من الحديث عن المحسنات البديعية ؛ لأن المتنبي لم يكن من المغرمين بها ،وإن كانت تجيء منه عفوًا ، ولكنه أكثر من الحديث عن الاستعارة ؛ لأن أبا الطيب نسب إليه كثير من الاستعارات الرديئة ؛ إذ كانت الاستعارة شائعة في أشعاره.

(١) القاضي الجرجاني والنقد الأدبي ص ٦٣.

وكل ذلك مقدمات يمهد بها المؤلف لحديثه عن المتنبي وخصومه ،ويذكر أن خصومه رجلان:

أحدهما: لا يعترف بفضل المحدثين.

وثانيهما: يظلم المتنبي ؛ لأنه يعترف بفضل بعض المحدثين ، ولكنه ينكر فضل أبي الطيب.

وهنا يورد المؤلف بعض كبار الشعراء المحدثين ليبين نقائصهم (ص ٤٨ – ٧٨) ، ويذكر ماعيب به شعر المتنبي ، ويأتي بأمثلة كثيرة من سرقات الشعراء ، ويذكر رأيه في السرقة (ص ١٧٤ – ٢٠٨) ، ويورد ما ينسب إلى أبي الطيب من السرقات معلقًا عليه أحيانًا وصامتًا أحيانًا ، كأنه يقر السرقة بذلك الصمت (ص ٢٠٩ – ٤٢٥) ، ويعود المؤلف لاستكمال بعض المآخذ على أبي الطيب ويلتمس المعاذير له (ص ٤٢٨ – ٤٤٦).

وقد تضمنت مناقشاته في هذه الجزئية ما يمكن أن نسميه " بالنقد الموضوعي أو النقد المنهجي".

ويبدو من عرضنا كتاب الوساطة أنه متماسك مرتبط الأجزاء بعضها ببعض ، وأن المقدمات التمهيدية التي تحدث فيها عن تطور الشعر لها صلة وثيقة بالمتنبي ؛ لأنها ترى أن من الخطأ قياس المتنبي بالشعراء الأقدمين ، وإنما يقاس إذا توخينا العدالة بأمثاله من الشعراء المحدثين[١].

(١) ينظر القاضي الجرجاني للدكتور أحمد أحمد بدوي ص ٧٢ ، ص ٧٣

الفصل الأول

الفكر البلاغي في الوساطة

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: إشارات الجرجاني إلى مسائل من علم المعاني في كتابه الوساطة.

المبحث الثاني: إشارات الجرجاني إلى مسائل من علم البيان في كتابه الوساطة.

المبحث الثالث: إشارات الجرجاني إلى مسائل من علم البديع في كتابه الوساطة.

المبحث الأول

إشارات الجرجاني إلى مسائل من علم المعاني في كتاب الوساطة

علم المعاني لم يكن قد حددت ملامحه وخصائصه في عصر القاضي الجرجاني ، وإنما كانت مسائله عبارة عن لمحات وامضة كادت أن تبرق أو تلمع ونظرات جزئية متفرقة ، ومع هذا فإننا نجد أن مسائل علم المعاني التي أشار إليها القاضي في وساطته كانت في معظمها موافقة لمسائل علم المعاني عند المتأخرين ، وكان مفهوم أكثرها لا يختلف كثيرًا عن مفهومها عند البلاغيين المقعدين ، مثل: الخطيب القزوينى وهو الذي بمشيءة الله سأسير على نهجه في عرضي للفكر البلاغي للقاضي الجرجاني في وساطته.

ومن مسائل علم المعاني التي ألمحتها في وساطة القاضي الجرجاني ، هي:

الفصاحة:

من خلال قراءتي الوساطة وبالتحديد في مقدمات الشعر عند القدماء لاحظت أنه يطلق كلمة الفصاحة ويريد بها البلاغة ، ويطلق كلمة البلاغة ويريد بها معنى الفصاحة شأنه في ذلك شأن عبد القاهر الجرجاني.

إذ إن الألفاظ (الفصاحة – البلاغة – البراعة) لا تعني عنده إلا التعبير عن فضل بعض القائلين على بعض ، من حيث نطقوا وتكلموا ، وأخبروا السامعين عن

مقاصدهم وأغراضهم ورموا أن يعلموهم ما في نفوسهم ، ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم. (١)

وأجد القاضي في هذه النقطة يختلف مع الخطيب ؛ إذ إن الخطيب يفرق بين الفصاحة والبلاغة فالفصاحة عنده شيء والبلاغة شيء آخر ؛ إذ إن الفصاحة عنده تقع وصفًا للكلمة ، كما تقع وصفًا للكلام ، أما البلاغة فلا تقع وصفًا عنده إلا للكلام (٢).

ومن العبارات التي ذكر فيها لفظ الفصاحة قوله: " وأنت تعلم أن العرب مشتركة في اللغة واللسان ،وأنها سواء في المنطق والعبارة ، وإنما تفضل القبيلة أختها بشيء من الفصاحة. " (٣)

وقوله: " حتى إن أعلمنا باللغة وأكثرنا رواية للغريب لو حفظ كل ما ضمت الدواوين المروية ، والكتب المصنفة من شعر فحل ، وخبر فصيح. " (٤)

*** فصاحة الكلمة**:

لاحظت من قراءتي الوساطة أن فصاحة المفرد عند الجرجاني تعني: خلوصه من تنافر الحروف ، والغرابة ومخالفة القياس الصرفي ؛ وبهذا يتفق مع الخطيب (٥) في وجهة نظره ، وهي أن العيوب التي تخل بفصاحة الكلمة:

---

(١) ينظر دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود شاكر ص٦ ، و٧ ، ت/ط الثالثة سنة ١٩٩٢م.

(٢) ينظر الإيضاح للخطيب القزوينى ، تحقيق عبد القادر حسين ص ٢٣ ، ط مكتبة الآداب ، ت/ط ١٩٩٦م .

(٣) الوساطة ص ١٦

(٤) السابق نفسه

(٥) ينظر الإيضاح ص٢٣

١) تنافر الحروف:

يرى القاضي أن الخفة ، أو عدم تنافر الحروف [١] ؛ يجعل الكلام سهلًا لينًا يفضل النطق به الخاصة والعامة.

٢) الغرابة [٢]:

والقاضي الجرجاني يرى أن الغرابة صفة من صفات أجلاف العرب ، وأنه نتيجة للتحضر قد رق كلامهم وتركوا كل ما كان ثقيلاً على اللسان ، وما كان تنبو عنه الأذان ومثل لهذا بمعنى (الطويل) ، فإنهم وجدوا للعرب فيه نحوًا من ستين لفظة أكثرها بشع شنع ، وقد أشار إلى هذين العيبين إذ يقول: " فلما ضرب الإسلام بجيرانه ، واتسعت ممالك العرب ، وكثرت الحواضر ، ونزعت البوادي إلى القرى ، وفشا التأدب والتظرف اختار الناس من الكلام ألينه وأسهله ، وعمدوا إلى كل شيء ذي أسماء كثيرة اختاروا أحسنها سمعًا ، وألطفها من القلب موقعًا ، وإلى ما للعرب فيه لغات ، فاقتصروا على أسلسها وأشرفها ؛ كما رأيتهم يختصرون ألفاظ الطويل ، فإنهم وجدوا للعرب فيه نحوا من ستين لفظة ، أكثرها بشع شنع كالعَشَنَط والعَنَطنط والعَشَنق ، والجَسرَب والشوقَب والسَلهب والشَوذب والطّاط والطُّوط ، والقاق والقوق فنبذوا جميع ذلك وتركوه ، واكتفوا بالطويل لخفته على اللسان ، وقلة نبو السمع عنه " [٣].

---

(١) تنافر الحروف: صفة في الكلمة يوجب ثقلها على اللسان وصعوبة النطق بها وهذا مما يخل بفصاحة الكلمة معاني التراكيب للدكتور عبد الفتاح لا شين ، ط/ دار الكتاب الجامعي ج١ ، ص٢٤.

(٢) الغرابة: أن تكون الكلمة غير ظاهرة الدلالة على المعنى الموضوع له بسبب عدم تداولها في لغة العرب الخلص فيحتاج في معرفتها إلى بحث وتنقيب في معاجم اللغة.

(٣)الوساطة ص١٨.

وفي هذا القول يشير الجرجاني إللى عيبين من العيوب التي تخل بفصاحة المفرد وهما تنافر الحروف والغرابة.

ونجده في موضع آخر يستقبح الغرابة ، ويرى أنها وصف يجعل الكلمة غصَّةً باردة لا قيمة لها حينما كان يعيب على أبي تمام بيتين ، من شعره إذ يقول:

" أيُّ شعر أقل ماء وأبعد من أن يَرف عليه ريحان القلوب من قوله:

خَشُنتِ عليه أخت بنى الخُشَينِ وأنجح فيك قول العَاذِلَينِ

ألم يُقنعك فيه الهجرُ حتى بَكَلت [1] لقَلبه هجرا بِبَينِ [2] " [3]

٣) مخالفة القياس[٤]:

والقاضي الجرجاني يرى أن مخالفة القياس عيب من عيوب الكلمة وغلط من أغاليط الشعراء، إذ كان يستعرض نماذج للشعراء ، ويوضح ما بها من خطأٍ أو عيب ، فيعيب مثلاً: على رؤبة جمع برث على برارث ، والقياس الصرف الصحيح براث أو بوارث ، وعلى بعض الرجاز: فتح نون المثني " عينان " والقياس أن تكسر ، وعلى رؤبة: فتح ياء " ضيق " والقياس أن تسكن.

فهو يقول: " ولو لا أن أهل الجاهلية جدوا بالتقدم ، واعتقد الناس فيهم أنهم القدوة والأعلام والحجة ، لوجدت كثيرًا من أشعارهم مُعَيبة مسترذلة مردودة منفية ، لكن هذا الظن الجميل والاعتقاد الحسن ستر عليهم ، ونفي الظنة عنهم ، فذهبت

(١) بكل: خالط ، ورواية الديوان " قرنت "

(٢) البيت لأبي تمام ينظر ديوانه .

(٣) الوساطة ص ٢٠ ، ص ٢١

(٤) مخالفة القياس: أن تكون الكلمة غير جارية على قانون المفردات اللغوية ، ومخالفة لما ثبت عن واضع اللغة . معني التراكيب ص ٢٩ .

الخواطر في الذب عنهم كل مذهب وقامت في الاحتجاج لهم كل مقام ، وما أدراك – أدام الله توفيقك – إذ سمعت. ..... قول رؤبة:

أقفَـــرَتِ الوَعثـــاء والعُثَاعِـــثُ مِـــن بَعـــدهم وَالبـــرُقُ البَـــرَارِثُ

وإنما هي البِرَاث جمع بَرَث ، وهي الأماكن السهلة من الأرض ، وروي البَوَارث وكأنه جمع بارثة.

وقول بعض الرجاز ، أنشده المفضل:

كانـــت عجـــوزًا عمـــرت زمانـــا وهـــى تـــرى ســـيئها إحســـانا

تعـــرفُ منهـــا الأنـــف والعَينَانَـــا . .....

ففتح النون من العينانا.

وقول رؤبة:

قد شفَّها النوح بمأزُولٍ ضَيَقْ

ففتح الياء. ومثال ذلك مما يخرج الكتاب عن غرضه " [1].

*** فصاحة الكلام:**

فصاحة الكلام: التي تعني خلوص الكلام من تنافر الكلمات ، وضعف التأليف والتعقيد عند الخطيب ، يوجد لها في الوساطة إشارات واضحة ، وعلى الرغم من أن هذه الأشياء لم تكن مقعدة أو محددة في عصر الجرجاني ، إلا أننا نجد هذه القاعدة كانت فكرة من فكره البلاغي، ومعنى لا يفارق ذهنه في أثناء نقده.

فالأسلوب الفصيح عنده: " ما ارتفع عن الساقط السوقي ، وانحط عن البدوي الوحشي ".

(١) الوساطة ص٤ ، ص٦ ، ص٧ ، ص٨ .

وأما الأسلوب غير الفصيح فهو ما كان غير ذلك بأن تكون فيه عيوب تخل بفصاحة الكلام والعيوب التي تخل بفصاحة الكلام عنده تتضح من خلال ما يأتي:

١) تنافر الكلمات[١]:

فهو عيب يرفضه القاضي ويمقته؛لأنه يجعل الكلام بارداً غثًا ، ثقيلًا وخمًا،ويعوص اللفظ ويعقد الكلام ، ويسيء الترتيب. وقد المحت هذا في وساطته حينما كان يستعرض أبيات المتنبي التي يظهر فيها مثل هذا العيب ، ويخبرنا بأنه لم يكن أول من نهج هذا النهج ، بل يوجد قبله الكثيرون ، مثل: مسلم بن الوليد الذي يقول:

" سُلّتْ وسَلّتْ ثُمَّ سَلَّ سَلِيلُها فأَتى سَلِيلُ سَلِيلِها مَسلُولا " [٢]

ومن الأبيات التي عرضها للمتنبي في هذا المضمار ، " قوله:

ومِن جَاهِلٍ بى وَهوَ يَجهَلُ جَهلَهُ وَيَجهَلُ عِلمِي أَنَّهُ بِيَ جَاهِلُ

وقوله:

فَقَلقَت بالَهمِ الَّذِي قَلقَلَ الحَشاَ قَلاَقِلَ عِيسٍ كلُّهُنَّ قَلاَقِلُ

غَثَاثَةُ عيشى أن تَغِثَّ كرامتي ولِيس بغَثٍّ أن تِغثَّ المآكِلُ " [٣]

وبعد أن عرض القاضي الجرجاني أبياتاً كثيرة للمتنبي مليئة بتنافر الكلمات عقب بقوله هذا " قد جمع في هذه الأبيات وفي غيرها مما احتذى به حذوها بين البرد والغثاثة ، وبين الثقل والوخامة ، فأبعد الاستعارة ، وعوص اللفظ ، وعقد

(١) تنافر الكلمات: أن تكون الكلمات مجتمعة عند اتصال بعضها ببعض ثقيلة على السمع ويتعسر النطق بها ، وإن كانت كل كلمة على حدة فصيحة. معاني التراكيب ج١ ، ص٣٥.

(٢) الوساطة ص ٨٤

(٣) السابق ص٨٢ ، ص٨٣.

الكلام ، وأساء الترتيب ، وبالغ في التكلف وزاد على التعمق ، حتى خرج إلى السخف في بعض ، وإلى الإحالة في بعض " [١]

٢) ضعف التأليف [٢]:

نجد أن الجرجاني يخالف المتأخرين ، ومنهم الخطيب في تحديد مفهومه ؛ إذ ضعف التأليف عندهم أن يكون الكلام في تأليفه خارجًا عن قواعد النحو المشهورة عند معظم النحويين أو جمهورهم ، أما هو فيرى أن القانون النحوي نوعان:

١ ـ قانون اتفق عليه النحويون جميعاً.

٢ـ وقانون اتفق عليه جمهور النحويين ، أو معظمهم دون بعضهم القليل.

وأما مخالفة القانون النحوي الذي اتفق عليه كل النحاة ، فهو أمر مرفوض لديه ؛ لأنه يجعل الأسلوب الفصيح أسلوبًا ضعيفًا ركيكًا سوقيًّا ، وقد فهمت هذا منه حينما كان يورد أبياتًا مليئة بأغاليط لشعراء جاهليين وإسلاميين ، منها ما يخالف القياس الصرفي ، وقد أشرت إليه آنفا حينما كنت أتحدث عن مخالفة القياس ، ومنها في نفس الموضع ما يخالف القانون النحوي ، إذ أورد أبياتًا لامرئ القيس ، وغيره بها أخطاء نحوية ، مثل:

" أيـــا راكَبـــاً بَلّـــغَ إخواننـــا مَـــن كـــان مـــن كِنْـــدَة أو وائِـــل

فنصب (بلغ)

(١) الوساطة ص٩٢

(٢) أن يكون الكلام في تأليفه خارجًا عن قواعد النحو المشهورة عند جمهور النحويين مع فصاحة المفردات. معاني التراكيب ج١ ، ص ٤١.

وقوله:

لَهَـــا مَتنَتَـــانِ خَظَاتَـــا كمـــاَ أَكَـــبَّ عَلَـــى سَـــاعديهِ النَّمِـــرْ

فأسقط النون من (خظاتا) لغير إضافة ظاهرة. ....

وقول الآخر:

يَاعَجَبـــا والـــدهر جـــمُ عجَبُـــهْ مـــن عَنَـــزِي سَـــبَّني لَـــم أضـــرِبُهْ

فرفع (أضربه) " [1]

فنصب فعل الأمر وحذف النون لغير الإضافة ، ورفع الفعل المضارع الذي سبقه أداة جزم (لم) ، مخالفة لقانون نحوي اتفق عليه كل النحاة.

و يلاحظ أن طائفة الأغاليط التي أوردها القاضي في وساطته لم يفرق فيها بين مخالفة القياس الصرفي وضعف التأليف الذي هو مخالفة القانون النحوي ؛ ربما لأنه لم يكن مقصده ذلك ، و إنما كان المقصد في هذا الموضوع إيراد طائفة من أغاليط الشعراء ؛ للدفاع عن أبي الطيب المتنبي وبيان أنه لم يكن أول من خالف أو أخطأ في شعره القواعد المتفق عليها فقد سبقه كثيرٌ من الشعراء.

أما مخالفة القانون النحوي الذي عليه جمهور النحاه ، أو معظمهم فالقاضي الجرجاني لا يُخَطِّئُ صاحبها ، ولا يراه مخالفاً إذا لم يُخرج الأسلوب عن فصاحته.

وطالما أنه يستند في قوله إلى شعر عربي منقول عن ثقة ، ونجد هذا من القاضي حينما كان يدافع ويعتذر عن قول المتنبي ، والذي يقول فيه:

" لـــيس إلاك يـــا علـــي همـــام ســـيفه دون عِرْضِـــه مَسْـــلُولُ

(١) الوساطة ص٥ ، ص٦

وقوله:

ما ترى من نادمت إلا كا

" فأنكروا اتصال الضمير بإلا ، وحق الضمير أن ينفصل عنها ، وبذلك جاء القرآن قال تعالى: { ضل من تدعون إلا إياه } وهو الظاهر في القياس النحوى ، المشهور عند العرب.

وقد روى الفرَاء بيتًا عن العرب احتج به أبو الطيب ، واحتذى عليه:

فمـا نُبـالي إذا مـا كُنْـتِ جارتَنَـا ألاَّ يجاورَنـــــــا إلاَّكِ دَيَّـــــــارُ

وأنا أرى أن لا يطالب الشاعر أكثر من إسناد قوله إلى شعر عربي منقول عن ثقة " (١)

ونفهم من هذا النص أن القاضي لا يُخطِّئ المتنبي ، على الرغم من أنه خالف قانونًا نحويًّا مشهورًا ؛ لأنه لم يُخرج الكلام عن فصاحته ،كما أنه استند في هذا إلى كثير من الشعراء قبله فلم يكن أول من يخالف.

ولكني أخالف القاضي في هذا وأراه متحيزًا للمتنبي ، فأي مخالفة للقانون النحوي الذي اتفق عليه كل النحاة ، أو جمهورهم تخرج الكلام عن فصاحته ، وتجعله ضعيفاً ركيكاً سوقيًا ، ثم إن منطقه غريب كيف يصحح قول المتنبي لا لشيء إلا لأنه يستند إلى شعر عربي نقل عن ثقة !!؟

وإن كان هذا المقياس له قيمته في كثير من الأحيان إلا أننا لا يجوز أن نجعله سببًا لتصحيح خطأ ؛ ومن هنا نجد أن الجرجاني يختلف في هذه الجزئية مع البلاغيين المتأخرين.

(١) الوساطة ص ٤٥٦ و ص٤٥٧.

٣) التعقيد:

والتعقيد قسمان: التعقيد اللفظي [١] ، والتعقيد المعنوي:

أما بالنسبة للتعقيد اللفظي: فالقاضي الجرجاني يتفق مع المتأخرين من علماء البلاغة في أنه عيب ممقوت ؛ إذ يخرج الشعر عن فصاحته ويحط من قدره ، ويسيء ترتيب ألفاظه ويجعل القارئ أو السامع يتعب في استخراج المعنى البديع من البيت ،ويضيع حلاوة اللفظ ، وبهاء الطبع ،ورونق الاستهلال.

كما أن التعقيد اللفظي في نظره يجعل النسج متهلهلاً ، والنظم فاسدًا ويُعميّ المعنى ويجعله مستهلكاً ويعوّص اللفظ ، ويجعل المراد غامضًا مستغلقًا.

وقد رأيت هذا منه في الوساطة حينما كان يعيب على المتنبي التعقيد اللفظي الذي يملأ كثيرًا من أبياته.

إذ يقول: " احتملنا له ما قدمناه على ما فيه من فنون المعايب ، وأصناف القبائح ، كيف يحتمل له اللفظ المعقد ، والترتيب المتعسف لغير معنى بديع يفي شرفه وغرابته بالتعب في استخراجه ، وتقوم فائدة الانتفاع بإزاء التأذي باستماعه ، كقوله:

وَفَاؤُكُمـا كـالرَّبعِ أَشْـجَاهُ طَاسِـمُه بأن تُسعِدَا وَالدَّمعُ أَشفَاهُ سـاَجِمُهْ [٢]

---

(١) التعقيد اللفظي: أن يكون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد لخلل واقع في نظمه وتركيبه بحيث لا يكون ترتيب الألفاظ على وفق ترتيب المعاني بسبب تقديم الألفاظ أو تأخيرها عن مواطنها الأصلية ،بسبب الفصل بين الكلمات أو الجمل التي يحسن أن تتجاور في الكلام. معاني التراكيب ص٢٤٢.

(٢) الطامس: الدارس ، والساجم: السائل.

ومن يرى هذه الألفاظ الهائلة ، والتعقيد المفرط ، فيشك أن وراءَها كنزًا من الحكمة ، وأن في طيها الغنيمة الباردة ،حتى إذا فتشها ، وكشف عن سترها وسهر ليالي متوالية فيها حصل على أن (وفاؤكما يا عاذلي بأن تسعداني إذا درس شجاي ، وكلما ازداد تدارُسًا ازددت له شجوا ، كما أن الربع أشجاه دارسُه) .

فما هذا من المعاني التي يضيع لها حلاوة اللفظ ، وبهاء الطبع ، ورونق الاستهلال ، ويشح عليها حتى يُهلهل لأجلها النسج ، ويفسد النظم ، ويفصل بين الباء ومتعلقها بخبر الابتداء قبل تمامه ، ويقدم ويؤخر ، ويعمي ويعوص.

ولو احتمل الوزن ترتيب الكلام على صحته فقيل:

(وفاؤكما بأن تسعدا أشجاه طاسمه كالربع) ، أو (وفاؤكما بأن تسعدا كالربع أشجاه طاسمه) لظهر هذا المعنى المضنون به ، المتنافس فيه ، فأما قوله: " والدمع أشفاه ساجمه " فخطاب مستأنف ، وفصل منقطع عن الأول ، وكأنه قال: (وفاؤكما والربع أشجاه ما طسم ، والدمع أشفاه ما سجم) " [1]

ومن المواضع التي أشار فيها الجرجاني وألمح إلماحاً واضحاً إلى التعقيد اللفظي حينما كان يقف بجوار المتنبي ، ويلتمس له العذر في أبيات مليئة بالتعقيد بأنه قد سبقه الكثير من الشعراء قد سلكو نفس المسلك ، وليس هذا فحسب ، بل أن أبياتهم قد قُبلت واحتُملت ، إذ يقول: " ومتي وجدتك تحتمل للفرزدق:

وما مِثلهُ في النَّاسِ إلا مُمَلَّكاً أبُو أمّهِ حَيٌّ أبُوهُ يُقَارِبُه

وأشباهها. وإن لم تحتمله لم تعتمده بالعيب ، ولم تتناول قلائده بالغض ، ولم تسلك بأبي الطيب هذا المسلك ، وتحمله على هذا المنهج علمت أنك متعصب مائل ، ومتحامل جائر. " [2]

(١) الوساطة ص٩٨.

(٢) الوساطة ص ٤١٦.

وفي هذه القطعة نلاحظ أن القاضي يتهم كل من عاب على المتنبي تعقيده ولم يقبله أو يتحمله كما قبل وتحمل تعقيد الفرزدق وغيره بالتعصب والميل والتحامل والجور ،.

وأعتقد أنه ما دفع القاضي إلى هذا الكلام إلا تعصبه هو للمتنبي في هذه النقطة.

ثم أسأل القاضي عن كيفية الاحتمال التي يقصدها هل يقصد استصاغة بيت الفرزدق أم يقصد أنهم لم يحكموا عليه بالعيب ؟فإن كانت الأولى فلا أعتقد أن أحدًا استصاغ بيت الفرزدق.

وإن كانت الثانية فقد حكم عليه كل البلاغين في ما أعرف بخروجه عن الفصاحة ، إذن لا داعي لغضب القاضي الجرجاني أصلا.

وأما بالنسبة للتعقيد المعنوي [1]:

فمن خلال قراءتي الوساطة لم أجد من الجرجاني إليه إشارة من قريب أو من بعيد ؛ ربما لأنه لا يعترف إلا بالتعقيد اللفظي ؛ أو لأن التعقيد المعنوي قليل ونادر الحدوث في أشعار العرب وقد أشعر بهذا ودل عليه التمثيل له من قبل البلاغين بمثال واحد ، وتكرر في كتب المتأخرين ألا وهو قول الشاعر أحنف بن قيس:

سأطلبُ بُعدّ الدَّار عنكم لتَقْربُوا وتسكبُ عَيْنايَ الدّموعَ لتجْمُدا

البلاغة : [2]

(١) التعقيد المعنوي: أن يكون الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد لخلل واقع في معناه ، بسبب انتقال الذهن من المعنى الأول المفهوم من اللفظ لغة إلى المعنى الثاني المقصود ، بحيث يكون إدراك المعنى الثاني من الأول بعيداً عن الفهم ويحتاج إلى تكلف. معاني التراكيب ص ٤٤ .

(٢) البلاغة: بلاغة الكلام هي مطابقته لمقتضي الحال مع فصاحته. الإيضاح ص ٣١

من المعاني التي وجدتها للجرجاني في وساطته (البلاغة) ، وإن كان لم يفرق بينها وبين الفصاحة مثل عبد القاهر كما أشرت آنفاً إلى هذا ، فمبدأ "لكل مقام مقال" كان لا يفارق ذهنه في حكمه على الشعر ، ونقضه له. إذ كان يفرق بين أسلوب المدح وأسلوب الهجاء ، وبين الرثاء وأسلوب الوصف وأسلوب الغزل وأسلوب الفخر وأسلوب الاستبطاء ، كما أنه كان يفرق بين مقام التعريض ومقام التصريح.

فيجعل لكل مقام منها ما يناسبه من المقال ، إذ يقول:

" لا آمرك بإجراء أنواع الشعر كله مجرًى واحدًا ، ولا أن تذهب بجميعه مذهب بعضه بل أرى لك أن تقسم الألفاظ على رتب المعاني ، فلا يكن غزلك كافتخارك ، ولا مديحك كوعيدك ، ولا هجاؤك كاستبطائك ، ولا هزلك بمنزلة جِدِك ولا تعريضك مثل تصريحك ، بل ترتب كلا مرتبته وتوفيه حقه ، فتلطف إذا تغزلت، وتُفخم إذا افتخرت وتتصرف للمديح تصرُف مواقعه ، فإن المدح بالشجاعة والبأس يتميز عن المدح باللباقة و الظرف ، ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمُدَام ، فلكل واحد من الأمرين نهج هو أملك به ، وطريق لا يشاركه الآخر فيه " [1].

كما وجدته يطبق المبدأ نفسه حينما كان يُنكر على أبي تمام تغزله واستعطافه في غلامه عبدوس بالفلسفة ؛ إذ هذان المقامان (الغزل – الاستعطاف) لا يناسبهما مقال الفلسفة على الإطلاق ، فبعد أن ذكر أبيات غزل لأبي تمام في غلامه عبدوس ، والتي يقول فيها:

قَسَّمَت لي وقاسمتني بسلطانٍ من السحر مقلتا عَبْدُوسِ

فالقسيم القَسام عن لحظات منهما يختلسن حب النفوس

(١) الوساطة ص٢٤.

فالـذي قاسـمت بلَحـظ إذ الليـل تمطـى مـن الكـرى المنفـوسِ

يقول القاضي: " ولست أدري – يشهد الله – كيف تصور له أن يتغزل وينسب ، وأي حبيب يستعطف بالفلسفة ! وكيف يتسع قلب عبدوس هذا ، وهو غلام غرّ ، وَحَدَث مُترف لاستخراج العويص وإظهار المعمَّي ! " . (١)

ومن هنا يتضح لنا أن مفهوم البلاغة الذي هو بمعنى: " مطابقة الكلام لمقتضى الحال " ، كان فكرة من فكر الجرجاني البلاغي ، كما كانت الفصاحة كذلك.

القلب :

عرَف القاضي الجرجاني القلب (٢) ، ورآه أسلوبًا من أساليب أداء الكلام ، وكان القلب يمثل جزءًا مهمًّا من فكره البلاغي ، كما أنه من الذين قبلوا القلب مطلقًا مثله في ذلك "السكاكي" ، ونراه في هذه النقطة كان فكره البلاغي مخالفًا للمتأخرين من علماء البلاغة (الخطيب القزوينى) إذ أنه لا يقبل القلب مطلقًا ، فهو يقبله إذا تضمن اعتبارًا لطيفًا.

قال الخطيب: " رده مطلقًا قوم ، وقبله مطلقًا قوم منهم السكاكى. والحق أنه إن تضمن اعتبارًا لطيفًا قُبل وإلا رُدَّ " (٣) ، ومما يدل على أن القلب كان أساسًا من الأسُس البلاغية التى اعتمد عليها فكر الجرجاني ، ذكره لفظ مصطلح القلب حينما كان يرد على من قالوا أن البحتري وأبا تمام والمتنبي قد أخذوا معنى تشبيه إقدام

(١) الوساطة ص ٦٨

(٢) القلب هو: أن يجعل جزء من الكلام مكان الآخر والآخر مكانه ، على وجه يثبت حكم كل منهما للآخر. معاني التراكيب ص٢٠٢.

(٣) الإيضاح ص ١٠٩.

الشجاع بإقدام الغِرّ من " قَطرى بن الفجاءة " ، حيث كان يرفض هذه الفكرة ، اللهم إلا إذا كان على طريق القلب إذ يقول:

"وقد قالوا: إن الأصل فيه قول قطرى بن الفجاءة:

ثم انثنيت وقد أُصِبتُ ولم أصِب جَـــذَع البصـــيرة قـــارح الإقـــدام

وليس هو عندى كذلك ، لأن قطريا زعم أن إقدامهم إقدام غِرّ ، وتجاربهم تجارب كَهلٍ مُحَنَّك فهو ضد ذلك المعنى ، اللهم إلا أن يقال قَلبَه فلا يبعد ذلك من الصواب " . (١)

ومن المواضع التي تحدث فيها الجرجاني عن القلب – أيضا – الموضع الذي أورد فيه رأي المعيبين على أبى الطيب بيتاً له ، ورأي المدافعين عنه ، وهذا البيت يقول فيه المتنبي:

وَعَـذلتُ أَهـلَ العِشـقِ حتـى ذُقتـه فعجِبْـتُ كَيـف يَمُـوتُ مَـن لا يَعشَـقُ

إذ ذكر أن هناك قومًا يعيبون هذا البيت لأبي الطيب المتنبي ، ورفضوه جملةً وتفصيلا.

وذكر أن ، هناك قومًا احتجوا له ودافعوا عنه ، وهؤلاء المحتجون انقسموا إلى فريقين ، فريق يرى أن هذا: البيت خرج مخرج القلب ، إذ كان أصل الكلام (كيف لا يموت من يعشق ؟) وقالوا: إن هذه الطريقة كثيرة في شعر العرب ، ومثلوا لذلك بأبيات (الأعشى – الشماخ وغيرهما).

وفريق يرى: أن الكلام جارٍ على طريقته ، وغير محتاج إلى الحمل على القلب ، والقاضي الجرجاني قد أورد هذا في وساطته ، إذ يقول: بعد أن ذكر بيت المتنبي ، والذي يقول فيه:

(١) الوساطة ص ٢٥٧ ، ص٢٥٨.

(وَعَذلتُ أَهلَ العِشقِ حتى ذُقتـه فعجِبْتُ كَيف يَمُوتُ مَن لا يَعشَقُ)

"قالوا: صعوبة العشق وشدته على أهله لا توجب ألا يموت من لا يعشق فيعجب منه ، وإنما يقتضي أن كل من يعشق يموت ، وكأنه أراد: كيف لا يعرف من يعشق ! فذهب عن مراده".

قال بعض من يحتج عن أبي الطيب: إنه خرج مخرج القلب ، وهو كثير في شعر العرب ، ومنه قول الأعشى: (١)

وكـــل كميـــت كـــأن الســـليط فـــي حيـــثُ وارى الأديـــمُ الشـــعارا

يريد: حيث وارى الشعارُ الأديم ، فقلب الكلام. .....

وقال الشماخ : (٢)

منـه ولـدت ولـم يُوشَـب بـه حسبى ليَّـا كمـا عُصِـبَ العِلبَـاء بـالعُودِ

أراد كما عصبَ العود بالعلباء.

وقال آخر:

أســـلمته فـــي دمشـــق كمـــا أســـلمت وحشـــية وهَقَـــا (٣)

أراد كما أسلم وَهق وحشية.

وقال آخر:

* كان الزناء فريضة الرجم *

أراد كان الرجم فريضة الزناء ، ومثل هذا كثير.

---

(١) ديوانه ص٥٣.

(٢) ديوانه ص ٢٤.

(٣) الوهق: حبل في طرفيه أنشوطة تصاد به الدابة.

وقال غيرهم: " إن الكلام جارٍ على طريقته ، وغير محتاج الحمل على القلب، وإنما المراد كيف تكون المنية غير العشق ، أي أن الأمر المتقرر في النفوس أنه على مراتب الشدة هو الموت ، وإني لما ذقت العِشق فعرفت شِدته عجبت كيف يكون هذا الأمر الصعب المتفق على شدته غير العشق !!؟ وكيف يجوز ألا تعم علته فتستولى على الناس ، حتى تكون مناياهم منه ، وهلاك جميعهم منه !!؟ " (١).

ونفهم من هذا أن القاضي الجرجاني قد قبل رأي الفريقين المحتجين للمتنبي معًا ؛ إذ لم يتعصب أو يدافع أو يتحيز لأحدهما ، وإن كنت أتوقع أو أود من القاضي أن يرفض الرأي الأول الذي يقول بالقلب ، إذ يجعل بيت المتنبي بيتًا معيبًا مردودًا ؛ لأن القلب إذا لم يكن لنقطة أو اعتبار لطيف خرج عن البلاغة وأصولها.

وخصوصاً: ما يتضمن من الكلام " ما يوهم عكس المقصود ، فيكون أدخل في الرد " (٢)

كما هو الحال في هذا البيت.

وهذا رأي المتأخرين وأنا معهم إذ لا أجد شيئًا يضطر أبا الطيب المتنبي إلى القلب ،

وأما رأي الفريق الثاني فيخرج أبا الطيب المتنبي من هذه المشكلة ؛ إذ يرى أن بيت المتنبي جارٍ على طريقته العادية في التعبير فلا يحتاج إلى الحمل على القلب.

ومن هنا ندرك أن القلب كان أساساً من الأسس البلاغية لدى القاضي الجرجاني وإن قبله على إطلاقه دون أن يشترط فيه أن يفيد نكتةً أو سرًا بلاغيًّا.

---

(١) الوساطة ص٤٦٩ ، ص٤٧٠.

(٢) المطول ص ١٣٨

الفصل والوصل:

لم يذكر القاضي الجرجاني مصطلح الفصل والوصل في وساطته ، وإنما كان يشير إلى هذا الموضوع إشارات خفية ؛ إذ كان يعبر عنه بعبارات تدل عليه وتشعر به ، كقوله: " وكان ظاهر الخطاب ، وحقيقة اللغة يقتضي تغاير المعطوف والمعطوف عليه ،ومن الظاهر عند أهل اللسان أن الشيء لا يعطف على نفسه " (١)

وقوله: " وأنكر أصحاب المعاني قطع المصراع الثاني عن الأول في اللفظ والمعنى " (٢)

وقوله: " إن بين المصراعين اتصالاً لطيفًا " (٣)

والقطع والاتصال اللذان أشار إليهما في عبارتيه السابقتين ، وإن لم يكن قد قصد بهما الفصل والوصل الاصطلاحيين ، إلا أنهما يشيران سواء أكان من قريب أو من بعيد إلى الوصل والفصل الذي اهتم البلاغيون بدراسته وإيضاحه.

وهذه قطعة من الوساطة يتضح من خلالها فكرة القاضي عن الفصل والوصل إذ يقول عن بيت للمتنبي: " فما أنكره عليه أهل العلم واستضعفوه ، قوله:

جَلَــلاً كمــا بِــى فَلْيَــكُ التَبــريحُ ... أَغِـذَاء ذَا الرَّشَـإِ الأَغـنِّ الشِّـيحُ (٤)

(١) الوساطة ص ٨٠

(٢) السابق ص٤٤١

(٣) السابق ص٤٤٢

(٤) التبريح: الشدة. والجلل: الأمر العظيم. والرشأ: ولد الظبية. والأغن: الذي في صوته غنة ، وهي صوت من الخيشوم.

.....إذ أنكر أصحاب المعاني قطع المصراع الثاني عن الأول في اللفظ والمعنى ، فقال المحتجُ عنه إنما يسوغ الإنكار لو قطع قبل الإتمام ، وابتدأ بالثاني وقد غادر من الأول بقية ، فأمّا أن يستوفي مراده ، ثم ينتقل إلى غيره فليس بعيب ، وإنما المِصراعان كالبيتين ،وهو قد استوفي بقوله:

* جَلَا كما بى فَلْيَكُ التبريحُ *

هذا المعنى ، ثم ابتدأ بالمصراع الثاني مستفهمًا ، فما في هذا من العيب.

وقال بعضهم:

قد يفعلُ الشاعر مثل هذا في النسيب خاصة ؛ ليدل به على تمكن الشوق منه ، وغلبة الحُب عليه، ولِيَرى أن آثار الاختلاط ظاهرة في كلامه ، وأنه مشغول عن تقويم خِطابه ، قالوا: ولذلك قال:

* أغِذَاء ذَا الرَّشَإِ الأغنِّ الشيحُ *.....

وقال غيره: إن بين المصراعين اتصالاً لطيفًا ، وهو أنه لما أخبر عن عظم تبريحه ، وشدة أسفه بيَّن أن الذي أورثه التبريح والأسف ، وهدى إليه الشوق والقلق هو الأغَنّ الذي شككه غلبة شبه الغِزلان عليه في غذائه ، وهذا الاعتذارُ قريب"[1]،وهذه المقطوعة تتضمن رأيًا يهاجم المتنبي ، وثلاثة آراء تدافع عنه.

أما الرأي الذي يهاجمه فحجته: أنه قطع المصراع الثاني عن الأول في المعنى ، وهذا لا يصح.

وأما عن الآراء المدافعة عنه .

فالرأي الأول منها يقول:

إنما يسوغ الإنكار لو قطع قبل الإتمام وابتدأ بالثاني ، وقد ترك من الأول بقيته.

(١) الوساطة ص٤٤١ ، ص٤٤٢

وهو لم يفعل ذلك ، وإنما جاء المصراعان كالبيتين ، فقد استوفي المعنى بقوله:

"جللا – كما بى فليك التبريح "

ثم ابتدأ بالمصراع الثاني مستفهما وليس في هذا شيء من العيب.

الرأي الثاني يقول: إن الشاعر قد يفعل مثل هذا في النسيب خاصة ؛ ليدل به على تمكن الشوق منه وغلبة الحب عليه ، وليرى أن آثار الاختلاط ظاهرة في كلامه ، وأنه مشغول عن تقويم خطابه ، قالوا : ولذلك قال: " أغذاء ذا الوشأ الأغن الشيح ".

والرأي الثالث يقول: إن بين المصراعين اتصالاً لطيفاً وهو: أنه لما أخبر عن عظم تبريحه وشدة أسفه بين أن الذي أورثه التبريح والأسف ، وهَدَى إليه الشوق والقلق هو الأغن الذي شككه غلبة شبه الغزلان عليه في غذائه .

وقد فُهم من الرأي الثالث أن أصحابه ، وكأنهم كانوا يطبقون على بيت المتنبي موضعًا من مواضع الفصل ، وهو شبه كمال الاتصال ". (١)

ويكون الفصل بين مصراعي ؛ البيت لأن المصراع الأول يكون قد أثار سؤالاً تقديره:

(ما الذى أورثك التبريح والأسف ؟!) ، فقيل: الأغن.

فهذا معنى قولهم: " إنه لما أخبر عن عظم تبريحه ، وشدة أسفه بين أن الذي أورثه التبريح والأسف ، وهَدَى إليه الشوق والقلق هو الأغن " ،وكأنهم يطبقون هذه القاعدة. (شبه كمال الاتصال).

---

(١) شبه كمال الاتصال: أن تكون الجملة الثانية جواباً عن سؤال يفهم من الجملة الأولى ، فتفصل الثانية عن الأولى كما يفصل الجواب عن السؤال لما بينهما من الاتصال. معاني التراكيب ج٢ ، ص١٤٣

وقد قبل الجرجاني هذا الرأى ؛ إذ قال:

" هذا الاعتذار قريب " مما يشعر بأن الفصل والوصل كانا أساسًا من أسس الفكر البلاغي لديه وإن كان لم يحدده أو يذكر له ضابطًا أو قاعدة ؛ وذلك لأن الوصل والفصل – كمسائل علم المعاني – لم يكن واضحا ومحددا في ذهنه ، كما هو الحال عند البلاغيين المتأخرين كما ذكرت آنفاً.

الإيجاز : [1]

ذكر القاضي الجرجاني (لفظ الإيجاز– الاختصار– الحذف) في وساطته ، ولم يذكر لفظ القِصر إلا أنه أشار وأومأ إليه كما يتضح من خلال ما سيأتي بمشيئة الله.

ومن المواضع التي ذكر فيها الألفاظ الثلاثة السابقة ، قوله:

" فقد قدمنا لك ميل العرب إلى الاختصار، وإيثارها الإيجاز وغلبة الحذف على كلامها ، وكثرته في خطابها " [2].

وللإيجاز نوعان:

إيجاز الحذف ، وإيجاز القِصَر .

أولًا إيجاز الحذف:

لقد أشار القاضي الجرجاني إلى أنواع كثيرة من أنواع إيجاز الحذف في وساطته ، لكنه لم يرتبها كترتيب البلاغيين المتأخرين إلا أنني تتبعته في وساطته ورتبتها ترتيبهم ، ومن هذه الأنواع:

أ) حذف الحرف:

قد ورد في الوساطة نماذج لحذف الحرف ، ونماذج لحذف أكثر من حرف.

(١) الإيجاز: هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط. الإيضاح ص٢٠٩

(٢) الوساطة ص ٤٥٤

فمثال الأول: ما أورده في وساطته من حذف النون من (لدن) في قول العرب:

* مُذ لَدُ شَوْلاً فإلِيَ إتْلَائِها * فحذف النون من (لدن) "[1]

ومثال الثاني: ما أورده القاضي من أبيات قد حذف من إحدى كلماتها أكثر من حرف ومنها قول الشاعر:

إذا غاب غدوًا عنك بَلْعمّ لم تكن جليدا ولم تعِطف عليك العواطف

والتقدير ابن العم ، ومنها بيت لبيد الذي يقول فيه:

* دَرَسَ المنَاَ بِمتُألَّع فأبَان *

وعلق عليه بقوله: يريد المنازل [2].

وهذه الأمثلة وإن كان لا يرضى القاضي عن التمثيل بها إلا أنه يمكن الاستشهاد بها على أن إيجاز الحذف كان من فكره البلاغي وقد استشعرت عدم رضاه عن هذه الأمثلة من قوله: " وقد يجيء عن العرب شواذ لا تجعل أصولًا ، ولا يلْزَم لها قياس ؛ لأنَّ ذلك لو ساغ واستمر لانقلبت اللغة ، وانتقضت الحقائق ، وهم إلى الحذف فيه أميل ، وبالتخفيف أولع، وعلى ذلك قالوا: (درس المنا) يريد المنازل. . ..وهذا باب يتسع فيه القول ، وتتشعب فيه الوجوه ، وقد صنفت فيه كتب معروفة. "[3]

ب) حذف الكلمة: ومنها:

١- حذف الصفة: وقد وجدت هذا حينما ذكر القاضي رأي المحتجين للمتنبي عن بيته الذي يقول فيه:

---

(١) الوساطة ص ٤٥١

(٢) السابق ص ٤٥٠

(٣) الوساطة ص ٤٥٣

" وإنَــي لَمِــن قَــوْمٍ كــأنَّ نُفُوســنا بها أَنَفٌ أن تَسكُنَ اللَّحَمَ وَالْعَظما"[١]

إذ حذف الصفة ، والتقدير (وإني لمن قوم كرام).

يقول القاضي الجرجاني: " قالوا: ويجوز أن يكون اكتفي بقوله: وإني لمن قوم كرام وأشرافٍ فحذف الصفة استغناء بما تقدم ، وما تعقب من الكلام ثم ابتدأ خبراً ثانياً ، وصرف الخطاب عن الأول وهذا سائغٌ لا يُردُّ. " [٢]

إذن كان حذف الصفة نوعًا من أنواع الإيجاز الذي كان يعترف به القاضي الجرجاني.

٢- حذف الفعل: وقد أشار إليه القاضي في قوله: " وقد حكى الأصمعى أن أخوين من العرب مكثا متهاجرين زمانا ، وهما يَحُلان ويرتحلان معا ، فإذا أراد أحدهما الرحيل ، قال: (أَلَا تاَ) ، فيجيبه الآخر آلَا فا " [٣]

إذ حذف الفعل من قول الذي يريد الرحيل (أَلَاتَا) والتقدير ألا ترتحل ، وحذف الفعل من قول الذي رفض الرحيل (آلَافا) والتقدير آلافارتحل .

ج) حذف الجملة:

وقد أشار القاضي إلى هذا بقوله: "وعلى هذا الطريق جروا في استعمال الترخيم ، وترك الخبر في كثير من الابتداءات في مواضع من الشروط ، وهذا لا يوجب التعدي إلى ما ترخص به أبو الطيب ، وسوغه لنفسه واحتج به لشعره " [٤].

(١) السابق ص ٤٤٦

(٢) السابق ص ٤٤٨

(٣) السابق ص ٤٥٤

(٤) الوساطة ص ٤٥٤

فالعبارة السابقة يشير بها القاضي إلى حذف المسند وحذف الجملة إذ يمكن أن يكون الخبر جملة.

وبهذا نعلم أن إيجاز الحذف كان أساسًا واضحًا يرتكز عليه فكر القاضي البلاغي.

وكما أشار القاضي الجرجاني إلى الحذف البليغ الذي يؤدي إلى الإيجاز والاختصار الذي يمنح الكلام بلاغةً وثقلاً ، أشار إلى الحذف الذي يُخل بنظمه وبلاغته.

وذلك حينما كان يعرض بيتا لأبي تمام ضمن أبياته الرديئة التي ذكرها في وساطته فها هو البيت:

يَدِى لمن شاء رَهْنٌ لم يذُق جرَعاً مِنْ راحتيك دَرَى ما الصَّابُ والعَسَل

فالقاضي يرى أن أبا تمام قد حذف جزءًا مهمًا من الكلام ، والتقدير:

" يدى لمن شاء رهن وإن كان لم يذق " إذ يقول: " حذف عمدة الكلام ، وأخل بالنظم ، وإنما أراد يدي لمن شاء رهن (إن كان) لم يذق ، فحذف (إن كان) من الكلام ، فأفسد الترتيب وأحال الكلام عن وجهه " [١].

ثانياً إيجاز القِصر :

وبالنسبة لإيجاز القِصر [٢]: فقد وجدته في الوساطة فيما ذكره القاضي نحو فكرة تنازعها كل من دهبل الجمحي ، والنابغة الذبياني ،إذ وجدته يفضل تارة بيت دهبل ؛ لأنه أوجز وأكثر اختصارًا ، وتارة يفضل بيت النابغة لنفس السبب إلا أنه لم

(١) السابق ص٧٩

(٢) هو تضمين العبارات القصيرة معاني كثيرة من غير حذف. معاني التراكيب ج٢ ص١٦٧

يذكر مصطلح إيجاز القِصر صراحةً في عبارته ؛ ربما لأنه كان لا يعرف عن الإيجاز إلا مصطلح الحذف ، أو لأنه لم يكن يعبأ بالمصطلح بقدر ما يعبأ بالمعنى.

وهذا هو الأقرب ؛ لأنني حينما قرأت القطعة التي سأوردها استشعرت أنه كان يتمثل معنى إيجاز القِصر ، وها هو الموضع ، إذ يقول القاضي الجرجاني:

" ومتى سمعت قول أبي دهبل الجُمَحي:

وكيف أنساك ! لا أَيْديك واحدة عندي ولا بالذي أَولَيتَ مِن قِدَم

علمت أنه من قول النابغة [1]:

أبي غفلتى أنى إذا ما ذكرتُه تقطَّع حزنٌ في حَشَى الجَوْفِ دَاخِل

وأنَّ تلادى إنْ نَظَرت وشِكَّتى ومُهْرِى وما ضمَّت إلى الأنامِلُ

حِباَوُك والعِيسْ العِتاَقُ كأنها هِجاَن المها تُرْدَى [2]عليها الرّحائل

فإذا أنصفت أبا دهبل عرفت فضله ، وشهدت له بالإحسان ؛ لأنه جمع هذا الكلام الطويل في: " ولا أيديك واحدة عندي " ثم أضاف إله " ولا بالذي أوليت من قدم ".

فتم المعنى ، وأكده أحسن تأكيد ؛ لأن الأمور العظيمة قد تنسى إذا طال أمدُها ، وتقادم عهدها، فنفي عنه وجوه النسيان كلها ، وقد اختصر النابغة أبياته في بيت من كلمة أخرى فقال[3]:

وما أَغْفَلتُ شُكْرَك فانتصحني فكيفَ ومِن عَطائِك جلُّ مالي

فأحسن وزاد على أبي دهبل ، بأن جعل جُل ماله من عطائه.

---

(١) ديوانه ص ٦١.

(٢) ردت الفرس رديا ورديانا: رجمت الأرض بحوافرها في سيرها وعدوها.

(٣) ديوانه ص ٦٥

واقتصر أبو دهبل على تتابع الأيادي ، وقد تصغر وقد تكبر ، لكن انفرد بالمصراع الثاني ، فحصل له زيادة لا تقصر عن معنى منفرد " [1].

ومن القطعة السابقة يلاحظ أن القاضي الجرجاني قد فضل في أول الأمر دهبل ، وشهد له بالحسن والفضل ؛ وذلك لأن قوله كان أكثر اختصارًا من قول النابغة ؛ إذ أتى بالمعنى في بيت واحد ، أما النابغة فقد أتى به في ثلاث أبيات فلمّاَ أتى النابغة بنفس المعنى بطريقة أوجز شهد القاضي له بالحسن والجودة ، وكان من أسباب حسن النابغة عند القاضي – أيضا – أنه جعل جل ماله من عطاء الممدوح.

وهذا يشعر بأن القاضي كان يعرف قيمة ومنزلة إيجاز القِصر في الكلام ، وأثره العظيم في أداء المعنى.

الإطناب :

إن البلاغيين المتأخرين حينما كانوا يذكرون الإطناب كانوا يفعلون الآتي:

(١) الوساطة ص١٨٩ ، ص١٩٠

يذكرون تعريف الإطناب [١] ، ثم يتبعون هذا التعريف بإخراج محترزاته ومن محترزاته هذه كلمة (لفائدة) ؛ إذ إن هذه الكلمة عندهم تخرج ما يسمى بالحشو [٢] ، وما يسمى بالتطويل [٣] ، ثم يقسِّمون الحشو إلى مفسد وغير مفسد.

ثم يقسمون الإطناب البليغ إلى أنواع متعددة: كالتكرار– التزييل – الإيضاح بعد الإبهام – الاعتراض. ..... إلى آخر الأنواع التي تدخل تحت الإطناب.

أما القاضي الجرجاني وإن كان الإطناب يُعد من فكره البلاغي ، إلا أنه لم يتناوله بهذه الطريقة إذ نجده يتحدث عن الحشو في موضع ويلمح ويشير إلى الإطناب في مواضع أخرى من الكتاب.

فبالنسبة للحشو ، فقد تحدث عنه حينما يذكر أن الشعراء المتقدمين كانوا يجرون على طبيعتهم ويتركون الشعر لسليقتهم ، دون تكلف أو تعمل ، وأن شعرهم لذلك كان يدخل إلى القلب فيعلق به ، فترتاح إليه النفس لبعده عن التكلف وبراءته من التزويق الممقوت والزخرفة المذمومة.

فهو يقول: " قد علمت أن الشعراء قد تَدَاوَلوا ذكر عيون الجآذر ونواظر الغزلان ؛ حتى إنك لا تكاد تجد قصيدة ذات نسيب تخلو منه إلا في النادر الفذ ، ومتى جمعت ذلك ، ثم قرنت إليه قول امرئ القيس [٤]:

تَصُدُّ وَتُبْدِى عَنْ أَسِيلٍ وَتَتَّقِى بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْش وَجْرَةَ مُطْفِلِ[٥]

أو قابلته بقول عَدِى بن الرقاع:

---

(١) الإطناب: هو تأدية أصل المراد بلفظ زائد علىه لفائدة ، الإيضاح ص٢٠٩.

(٢) الحشو: هو الزيادة غير المتعينة.

(٣) التطويل: هو الزيادة المتعينة.

(٤) ديوانه ص ٢٨

(٥) وجرة: موضع بين مكة والبصرة. والمطفل: ذات الطفل من الإنسان.

وَكأَنَّهـــا بَـــيْنَ النِّسَـــاءِ أعارَهـــا عَيْنَيْـهِ أحْـوَرُ مِـنْ جَـآذِرِ جَاسِـم[1]

رأيت إسراع القلب إلى هذين البيتين ، وتبينت قربهما منه ، والمعنى واحد، وكلاهما خالٍ من الصنعة ، بعيد عن البديع ، ‘إلا ما حَسنُ به من الاستعارة اللطيفة التي كسته هذه البهجة.

هذا وقد تخلل كل واحد منهما من حشو الكلام ما لو حُذف لاستغنى عنه ، وما لا فائدة في ذكره ؛ لأن امرأ القيس قال: (من وَحش وَجرة) ، وعديًا قال: (من جآذر جاسم) ، ولم يذكُرا هذين الموضعين إلا استعانة بهما في إتمام النظم، وإقامة الوزن ، ولا تلتفتن إلى ما يقوله المعنويون في وجرة وجاسم ، فإنما يطلب به بعضهم الإغراب على بعض ، وقد رأيت ظباء جاسم فلم أرها إلا كغيرها من الظباء.

وسألت من لا أحصي من الأعراب عن وحش وَجرة فلم يروا لها فضلاً على وحش ضرية [2]، وغزلان بسيطة ، وقد يختلف خلف الظباء وألوانها باختلاف المنشأ والمرتع ، وأما العيون فقل أن تختلف لذلك " [3].

ونفهم من هذه المقولة أن البيتين اللذين استشهد بهما القاضي يخلوان من الصنعة والتكلف والبديع ، وأنهما يتضمنان حشوًا لو حذف لا ستغني عنه ، ولم يذكرا الشاعران ذلك الحشو؛ إلا لإتمام النظم وإقامة الوزن.

والقاضي يرى أن الحشو في البيتين وهو:

(١) وجاسم: موضع بالشام. والجؤذر: ولد البقرة.

(٢) ضريى: موضع بنجد.

(٣) الوساطة ص٣١ ، ص٣٢.

(وجرة) و (جاسم) حشو غير مفسد للمعنى ، إلا أنه غير مستحسن ؛ لأنه لم يتضمن نكتة لطيفة ، وإذا كان هناك من أصحاب المعنى من يحاولون إعطاء مزية لغزلان جاسم ، أو ظباء وجرة ، فإنه لا يجوز الالتفات إليهم.

إذ رأى بنفسه ظباء جاسم ، فلم يجدها متميزة على غيرها.

ويتضح لنا من عبارته الأخيرة في المقولة حبه الزائد للعلم وحرصه الشديد على التدقق والتحقق ؛ إذ تجشم مشاق السفر ، والذهاب إلى جاسم بنفسه حتى يتحقق ، وتكلف عناء البحث والسؤال. إذ سأل عدد كثير من الأعراب لا يمكن إحصاوه عن الفرق بين وحش وجرة وغيرها ، فلم يجد لوحش وجرة مزية على وحش ضرية أو غزلان بسيطة.

وأما بالنسبة للإطناب فقد وجدته يشير إليه حينما كان يتحدث عن السرقات.

ولم يذكره بلفظه المعروف الآن ، وإنما كان كلامه وتعليقاته على الأبيات في هذه المواضع تُلمْح ، ومن المواضع التي استشعرت فيها إلماح القاضي إلى الإطناب هي تلك التي كان يتحدث فيها عن السرقات الشعرية وتفضيله أبيات قائل على آخر ؛ بسبب أنه أتى بألفاظ زائدة وهذه الزيادة يقتضيها المعنى والمقام.

إذن القاضي الجرجاني كان يعرف الإطناب ، ويقدر قيمته البلاغية ، وإن كان لم يذكر المصطلح المعبر عنه بشكل أو بآخر في وساطته.

المبحث الثاني

إشارات الجرجاني إلى مسائل من علم البيان

في كتاب الوساطة

مسائل علم البيان لم تكن أفضل حالاً من مسائل علم المعاني لدى القاضي الجرجاني ؛ إذ إن مصطلحات هذا العلم لم تكن قد حددت ، أو قسمت ، أو اتضحت معالمها بالشكل الحالي ، أو بالشكل الذي ارتضاه المتأخرون.

ومع هذا فإن القاضي كان يتمثل فروع علم البيان في كلامه ، ويتلفظ بمصطلحاته لكنه لم يستعملها بالأسلوب نفسه والمنهج الذي استعمله المتأخرون من علماء البلاغة.

ومما يؤكد هذا استعماله للاستعارة على أنها وسيلة من وسائل تحلية اللفظ وتزيينه ، لا على أنها فن من أفنان علم البيان ، وقد لمست هذا في حديثه الذي كان يرفض فيه التحامل في النقض. إذ يقول: " فإن دعاه حبُ الإغراب وشهوة التنوق إلى تزيين شعره وتحسين كلامه ، فوشحه بشيء من البديع وحلاه ببعض الاستعارة قيل: هذا ظاهر التكلف ، بين التعسف ، ناشف الماء قليل الرونق "[1] .

ويقول في موضع آخر: " فأما الاستعارة فهي أحد أعمدة الكلام ، وعليها المعول في التوسع والتصرف ، وبها يتوصل إلى تزيين اللفظ وتحسين النظم والنثر " [2].

(١) الوساطة ص ٥٢

(٢) السابق ص ٤٢٨.

وعلى الرغم من أن القاضي الجرجاني لم يستعمل مصطلح البيان ؛ إلا أنني وجدته يقصده ويفهم معناه كما نفهمه نحن اليوم ، وهو إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة.

ومن المواضع التي وجدت فيها القاضي يلم بمعنى البيان وإن كان لا يذكر مصطلحه حينما ذكر للمتنبي ثلاثة أبيات تتحدث في معني واحد بأساليب ثلاثة مختلفة ، وها هي الأبيات:

تُهابُ سيوفُ الهند وهْيَ حَدائِدُ فكيفَ إذا كانتْ نِزازيةً عرْبا

ويُرْهَبُ نابُ الليثِ والليثُ وَحْدَهُ فكيفَ إذا كان الليوثُ له صَحْبا

ويُخشي عُبابُ البَحر وهو مكانه فكيف بمَنْ يَغْشي البلادَ إذا عَبَّا

قال الجرجاني تعقيباً على هذه الأبيات:

" معنى هذه الأبيات الثلاثة واحد ، وإن اختلفت المعارض والأمثلة " (١)

فالمعنى الذي يقصده القاضي: هو الرعب والفزع الذي يدخله سيف الدولة في قلوب الأعداء ، والمعارض يقصد بها طرق التعبير.

فقد عبر المتنبي عن هذا المعنى في البيت الأول بطريق الاستعارة المكنية ، إذ شبه السيوف بإنسان ، ثم حذف المشبه به وذكر شيئًا من لوازمه وهي الهيبة على سبيل الاستعارة المكنية، وهذا التصوير يوحي بشدة بؤس سيف الدولة وهيبته وخشيته.

وعبر عنه في البيت الثاني بطريق الاستعارة التمثيلية ، إذ شبه سيف الدولة وهو في صحبة الجنود الشجعان التي ترهب الأعداء بحال الليث القوي ، وهو في صحبة الليوث الآخرين إذ يرهبون ليثًا واحدًا على سبيل الاستعارة التمثيلية.

(١) الوساطة ص ٢٠٣.

وعبر عنه في البيت الثالث بطريقة التشبيه البليغ ، إذ شبه سيف الدولة بالبحر الذي له غُباب تشبيهاً بليغاً.

وهذا يثبت أن القاضي الجرجاني كان مُلمًّا بمعنى البيان ، وإن كان لم يعبر عنه بمصطلحه المعروف بيننا الآن.

فمن غير المعقول أن القاضي الجرجاني – وهو البليغ الناقد – كان يقصد بتلك المعارض مجرد اختلاف الألفاظ ، بل لابد من أنه كان يقصد اختلاف صور التعبير كالتشبيه والمجاز والاستعارة ، إذ إن هذا هو الأليق بفكره.

التشبيه :

* ذكر القاضي لمصطلح التشبيه:

ذكر القاضي الجرجاني مصطلح التشبيه في وساطته ، حينما ذكر أن العرب كانت تفضل شعرًا على الآخر وتعطي له السبق دون غيره ؛ بسبب شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، وإصابته بالوصف ، وتقريبه للصور بالتشبيه ، فهو يقول: " كانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته ، وجزالةِ اللفظ واستقامته ، وتُسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب ، وشبه فقارب وبَدَهَ فأغزر ، ولِمَنْ كثرت سوائر أمثاله وشوارد أبياته ، ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة ، ولا تحفل بالإبداع[1] والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض " [2].

* تقسيم القاضي للتشبيه إلى بليغ وعادي:

(١) يقال: أبدع الرجل ؛ إذا أتى بالبديع

(٢) الوساطة ص ٣٣ ، ص٣٤.

قسم القاضي الجرجاني التشبيه من حيث ذكر الأداة أو عدمها إلى: تشبيه بليغ، وتشبيه عادي. فالتشبيه البليغ عنده هو الذي لم يذكر فيه أداة تشبيه ، وتنشؤه العرب عند إرادتها المبالغة في قرب الشبه ، وأن المشبه هو عين المشبه به ، مثل: (زيد الأسد عاديًا).

والتشبيه العادي عنده هو: ما ذكرت فيه الأداة مثل: (كأنه الأسد ، وما عبد الله إلا الأسد)

وبهذا يوافق القاضي الجرجاني الفكر البلاغي المتأخر (الخطيب) ؛ في أن التشبيه البليغ هو ما حذف منه الأداة ، وخالفه في حذف الوجه ؛ إذ ذكر في الأمثلة التي أوردها للتشبيه البليغ الوجه (عاديًا – مسلولًا).

* أدوات التشبيه:

قسم القاضي الجرجاني أدوات التشبيه إلى: أسماء ، وحروف.ومثَّل للأسماء (بمثل و شبه) ومثل للحروف (بالكاف وكأن) ، ولم يشير إلى الأفعال كأداة من أدوات التشبيه.

وقد أشار القاضي إلى تقسيم التشبيه إلى بليغ وغيره ، وأشار إلى الأدوات – أيضا – في الوساطة حينما كان يناقش رأي المعيبين على أبي الطيب ، قوله:

أَمْـطِ عَنْـكَ تَشْـبيهي بِمـا وَكأنَّـهُ فـلا أحَـدٌ فَـوْقِي ولا أَحـدٌ مِثْلـي

إذ يقول: " وعابوا له:

أَمْـطِ عَنْـكَ تَشْـبيهي بِمـا وَكأنَّـهُ فـلا أحَـدٌ فَـوْقِي ولا أَحـدٌ مِثْلـي

فقالوا: إنما يشبه من الأسماء بمثل وشبه ونحوهما ، ومن الأدوات بالكاف ثم تدخل على (أن) فيقال: "كأنه الأسد ، وقد تقرب العربُ التشبيه بأن تجعل أحد

الشيئين هو الآخر ، فتقول: زيد عاديًا والسيف مسلولاً ، فأمّا (ما) فلها مواقعُ معروفة ، وليس للتشبيه في أبوابها مدخل " (١).

* تقسيم التشبيه إلى التشبيه الحسي والعقلى:

أشار القاضي الجرجاني إلى تقسيم التشبيه: إلى حسي وعقلي. إذ جعل التشبيه الحسي هو الذي يقع بالصورة والصفة ، والتشبيه العقلي: هو الذي يقع بالحال والطريقة.

فقد قال في مجال الاعتذار لأبي الطيب ، والاحتجاج عنه:

" أقول إن التشبيه والتمثيل قد يقع تارة بالصورة والصفة ، وأخرى بالحال والطريقة " (٢).

وبهذا نعلم أن تقسيم التشبيه من حيث الطرفين إلى عقلي وحسي كان من أسس الفكر البلاغي لدى القاضي ، وأعتقد أن فكرة القاضي هذه كانت هي النواة أو البذرة لهذه التقسيمات (العقلية والحسية) عند المتأخرين.

* تقسيم القاضي للتشبيه إلى قريب مبتذل وبعيد غريب:

قسم القاضي الجرجاني التشبيه ، وهو في معرض الحديث عن السرقات إلى: تشبيه قريب مبتذل ، وتشبيه بعيد غريب وإن كان لم يسمهما بهذين الاسمين إلا أنه أشار إلى معناهما بلفظ آخر ، فالقريب المبتذل عنده هو المشترك عام الشركة ، وهذا التشبيه يتحقق عنده حينما يكون وجه الشبه فيه أمرًا متقررًا في البداية ، وهو مركب في النفس تركيب الخِلقْة يشترك فيه الناطق والأبكم ، والفصيح والأعجم ، والشاعر والمفحم ، وقد مثل لذلك التشبيه بتشبيه الحَسَن بالشمس والبدر ، والجواد بالغيث والبحر ، والبليد البطيء بالحجر والحمار ، إلى آخر الأمثلة التي

(١) الوساطة ص ٤٤٢ ، ص٤٤٣.

(٢) السابق ص ٤٧١.

أوردها ، وهذا هو السبب بعينه الذي رآه المتأخرون لجعل التشبيه قريبًا مبتذلاً ، وقد عبروا عنه بقولهم إن وجه الشبه إذا كان جمليًا لا تفصيل فيه كان التشبيه قريبًا مبتذلًا ، وبهذا يكون القاضي قد وافق المتأخرين في فكرهم البلاغي في هذه النقطة ، إلا أنهم توسعوا وزادوا على هذا السبب أسباب أخرى ، وفي الغالب أن القاضي الجرجاني كان يدركها ، لكنه لم يتوسع بالحديث عنها في هذا المقام ؛ لأنه لم يكن مقصده الأساسي ، إذ إنه سكان يتحدث عن السرقة وكيفية سرقة الشعراء بعضهم من بعض ، فأنا أعتقد أنه لو قصد الحديث عن هذا الموضوع (ابتذال التشبيه وغرابته) لأفاض واستفاض ، وأخرج أكثر مما توصل إليه المتأخرون.

وقد ذكر القاضي الجرجاني لفظ الابتذال حينما قال في معرض حديثه عن السرقة: " ولست تعد من جهابذة الكلام ونقاد الشعر حتى تميز بين أصنافه وأقسامه. ... وتفرق بين المشترك الذي لا يجوز ادعاء السرقة فيه والمبتذل الذي ليس أحد أولى به " . (١)

وأما البعيد الغريب عنده فهو التشبيه الذي سبق المتقدم إليه ، ففاز به ويحتاج إلى فكرٍطويلٍ ورَويَّةٍ شديدةٍ ، وقد مثل لهذا التشبيه بقول عامر الثقفي:

كـــأن رَيقَّـــة لمـــا عَـــلاَ ســـبَطًا أقْـرَابُ أبلـق بنفـي الخيـلَ رَمّـاح (٢)

وقد أشار إلى تقسيم التشبيه إلى قريب مبتذل وبعيد غريب ، بقوله: " فمتى نظرت فرأيت أن تشبيه الحَسَن بالشمس والبدر ، والجواد بالغيث والبحر ، والبليد

(١) الوساطة ص ١٨٣.

(٢) يقال: مطر سبط ؛ أي سح . القرب (بضم القاف وسكون الراء ، وبضمها) الخاصرة ، وجمعه الأقراب.

البطيء بالحجر والحمار ،. .. أمور[1] متقررة في النفوس ، متصورة للعقول ، يشترك فيها الناطق والأبكم ، والفصيح والأعجم ، والشاعر والمفحم ، حكمت بأن السرقة عنها منتفية ، والأخذ بالاتباع مستحيل ممتنع وفصلت بين ما يشبه هذا ويباينه ، وما يلحق به وما يتميز عنه ، ثم اعتبرت ما يصح فيه الاختراع والابتداع. ..... كتشبيه الطلل المحُيل بالخط الدارس وبالبُرد النهج [2] ، والوشم في المعصم. ..... فإذا اعتبرتها تصنفت لك صنفين: إما مشترك عام الشركة ، لا ينفرد أحدُ منه بسهم لا يساهم عليه ، ولا يختص بقسم لا ينازع فيه فإن حُسن الشمس والقمر ، ومضاء السيف ، وبلادة الحمار ، وجود الغيث وحيرة المخبول ، ونحو ذلك مقرر في البداية وهو مركب في النفس تركيب الخلقة.

وصنف سبق المتقدم إليه ففاز به ، ثم تُدُوولَ بعده فكثر واستعمل ، فصار كالأول في الجلاء والاستشهاد ، والاستفاضة على ألسن الشعراء فحمي نفسه عن السرقة ، وأزال عن صاحبه مذمة الأخذ ، كما يشاهد ذلك في تمثيل الطلل بالكتاب والبُرد ، والفتاة بالغزال في جيدها وعينيها ، والمَهَاه في حُسنها وصفائها ،. ....

وهيهات أن يعرض لك الأديب الفطن لقول عامر الثقفي:

كـــأن رَيقـــةً لمـــا عَـــلاَ ســـبَطًا أقْـــرَابُ أبلـــق بنفـــي الخيـــلَ رَمّـــاح

..... إلا عن روية كثيرة ، أو فكر طويل " [3].

ومن هذه القطعة يتبين لنا أن القاضي الجرجاني قد قسم التشبيه من حيث القرب والبعد إلى:

(١) خبر أن ، في قوله: (فرأيت أن تشبيه).

(٢) نهج البرد: بلى.

(٣) الوساطة ص ١٨٣، ص١٨٤ ، ص١٨٥ ، ص١٨٦.

مشترك عام الشركة ، لا ينفرد أحدُ منه بسهم لا يساهم عليه ، ولا يختص بقسم لا ينازع فيه ،

وصنف سبق المتقدم إليه ففاز به ، ثم تدوول بعده فكثر واستعمل ، فصار كالأول في الجلاء والاستشهاد ، والاستفاضة على ألسن الشعراء ، وتشبيه بعيد دقيق يحتاج في استخراجه إلى روية كثيرة وفكر طويل.

* جعل التشبيه القريب المبتذل بعيدًا غريبًا:

أشار القاضي الجرجاني إلى هذا الأمر ، وهو في معرض السرقة ، إذ إنه يرى أنه من الممكن أن يكون هناك معني قريب متداول ، فيتصرف فيه الشاعر تصرفًا معينًا يجعله غريبًا بعيدًا ،أو بديع مخترع على حد قوله ، ومثل لذلك بعدة معاني منها تشبيه الطلل بالكتاب ،إذ إن هذا تشبيه قريب قد جعله بعض الشعراء بعيداً حينما جعلوا المشبه به صورة حديث الأقلام التي تجدد متون تلك الكتب.

ومنها تشبيه الخدود بالورود ، وتشبيه الورود بالخدود ، وهذا تشبيه قريب – أيضا – قد جعله علي ابن الجهم غريبًا بعيدًا ؛ بأن تصرف في ذلك التشبيه بما أخرجه عن حيز الابتذال ، إلى حيز الاختراع ، حيث لم يقتصر على تشبيه الورد بالخدود ، وإنما زاد عليه وأضاف بعضها إلى بعض ، وكذا ابن المعتز تصرف في التشبيه وأخرجه عن حيز الابتذال بأن جمع اللونين البياض والاحمرار في كل من المشبه والمشبه به ، وأبو سعيد قد تصرف وأخرج هذا التشبيه عن ابتذاله ؛ بأن جعل أوراق الورد تنتزع ويوضع مكانها الخدود.

وقد أشار إلى هذا بقوله: " وقد يتفاضل متنازعو هذه المعاني بحسب مراتبهم من العلم بصنعة الشعر ، فتشترك الجماعة في الشيء المتداول ، وينفرد أحدهم

بلفظة تستعذب أو ترتيب يُستحسن ، أو تأكيد يُوضح موضعه ، أو زيادة اهتدى لها دون غيره ، فيريك المشترك المبتذل في صورة المبتدع المخترع ، كما قال لبيد [١]:

وجَلاَ السُّيُولُ عن الطُّلُولِ كأنها زُبُرٌ [٢] تُجِدُّ مُتُونَهـا أَقْلامُهـا

فأدى إليك المعنى الذي تداولته الشعراء. .....

وقال حاتم [٣]:

أَتَعْرِفُ أَطْلاَلاً ونؤيًا مُهَدَّمًا كخطّك في رَقٍّ كِتابا مُنَمْنَمَا

..... وأمثال ذلك مما لا يحصى كثرة ، ولا يخفي شهرة ، وبين بيت لبيد وبينه ما تراه من الفضل ، وله عليه ما تشاهد من الزيادة والشف [٤].

ولم تزل العامة والخاصة تشبه الورد بالخدود والخدود بالورد ، نثرًا ونظمًا، وتقول فيه الشعراء فتكثر ، وهو من الباب الذي لا يمكن ادعاء السرقه فيه إلا بتناول زيادة تضم إليه ، أو معنى يشفع به ، كقول علي ابن الجهم:

عشيةَ حيَّانى بوَرْدٍ كأنه خدودٌ أُضِيفت بعضُهن إلى بعض

فأضاف بعضهن إلى بعض له ، وإن أخذ فمنه يؤخذ وإليه ينسب ، وكقول ابن المعتز:

بياضٌ في جوانبه احمرارٌ كما احمرَّت من الخَجل الخدودُ

والخجل إنما يحمر وجنتاه ، فأما منبت الأصداغ ، ومخط العذار فقليلاً ما يحمران ، فهذا التميز مسلم له ، وإن لم يكن يسبق إليه ، ولو اتفق له أن يقول:

---

(١) شرح المعلقات للتبريزي ص١٢٨

(٢) الزبور: الكتاب ، والجمع زبر. وتجد: تجدد

(٣) شعراء النصرانية ص ١١٨.

(٤) الشف (بفتح الشين وكسرها): الفضل والزيادة والمعروف بالكسر.

حمرة في جوانبها بياض ، لكن أراد أن البياض والحمرة يجتمعان ، فجعل الاحمرار في جوانب البياض ، فراغ عن موقع التشبيه.

ثم قال أبو سعد المخزومي:

والـــوردُ فيـــه كأنمـــا أوراقُـــه نُزِعـــت وردّ مكـــانهن خـــدود

فلم يزد على ذلك التشبيه المجرد ، لكنه كساه هذا اللفظ الرشيق فصرت إذا قسته إلى غيره وجدت المعنى واحداً ، ثم أحسست في نفسك عنده هزة ، ووجدت طربة تعلم لها أنه انفراد بفضيلة لم ينازع فيها " [1].

* موازنات القاضي الجرجاني بين تشبيهين:

ومما يدل على أن التشبيه كان أساسا من أسس التفكير البلاغي لدى القاضي تلك الموازنات التي أجراها بيت الشعراء في تشبيهاتهم في أثناء حديثه عن السرقات الشعرية وأنواعها ، ومن هذه الموازنات ما ذكره من تشبيه الطعنة بجيب الحمقاء ، يقول القاضي:

" إن امرأ القيس زاد في قوله يصف الطعنة " [2]:

كَجَيْـــبِ الـــدِّفْنِس[3] الوَرهـــاء ريْعَـــتْ وهـــي تَسْـــتفِلي

على كل من شبهها بجيب الحمقاء ، وجيب الفتاة ؛ لأنها إذا ريعت وهي تستفلي عجلت عن الرفق. وقال أوس بن حجر:

وفـي صَـدْرِهِ مثـلُ جَيْـبِ الفتـاة تشـــهق حينًـــا وحينًـــا تهِـــرْ

١ الوساطة ص١٨٦ ، ص١٨٧ ، ص١٨٨.

٢ اللسان مادة دفنس

٣ الدفنس: المرأة الحمقاء

فزاد بالتقسيم الجاري على الشهيق والهرير ، ولكن زيادة الأول أحسن وأغمض مأخذا ،وأوقع تشبيها ، فأما الفند فإنه أورد البيت على حاله ، واضطرته القافية إلى ترك الزيادة الذي ذكرناها ، فقال:

كجَيْبِ الدَّفْنِس الوَرْهاء ريِعَتْ بَعْدَ إَجفالِ "[1]

فالقاضي الجرجاني يرى أن امرأ القيس أغمض مأخذا ، وأوقع تشبيها من قول أوس والفند إذ الحالة التي أضافها إلى الحمقاء ، وهي ترويعها حين تستفلي جعلتها أكثرعجلة ، وأكثر اضطرابا ، وذلك مما يزيد من قيمة التشبيه ؛ لأنه يحوج إلى الفكر والروية في الحال التي استدعت تلك الصورة الزائدة عن الحد في العجلة والاضطراب ، وذلك لما في المشبه به من تفصيل يستدعيها.

وأما أوس ، فقوله وإن لم يبلغ في تشبيه ما بلغه امرؤ القيس ، إلا أنه يرتفع قليلا عن تشبيه الفند، وذلك بما ذكره من التقسيم الذي أجراه بين الشهيق والهرير ، وهذا التقسيم وإن كان يحوج إلى روية وتفكير ؛ إلا أنهما لا يبلغان مبلغ التفكير الذي يحتاج إليه تشبيه امرئ القيس

وأما الفند: فقد ذكر التشبيه مجردا من أي اعتبار ، فلم يحوج إلى تفكير أو روية ؛ لأن المشبه به لم يذكر به أي تفصيل.

تلك موازنة من الموازنات التي أجراها القاضي الجرجاني في وساطته.

(١) الوساطة ص١٨٨ ، ١٨٩

الاستعارة

" تعتبر الاستعارة أرقى صورة بيانية ، ومع هذا فهي قديمة في الشعر ، وكما اطردت اللغات قبل أن يعرف متكلموها القواعد ويفطنوا إلى وجودها ، كذلك صدر الشعراء بفطرتهم دون معرفة نظرية بها ولا وعي تحليلي لطرق استعمالها؛ ولهذا جاءت معظم الاستعارات القديمة صادقة ؛ لأن ملكة الشعراء انتزعتها من طبائع الأشياء ، أو على الأصح ؛ لأن الأشياء أملتها على الشعراء. "(١)

فالاستعارة فن من الفنون البيانية ، وهذه فكرة أصيلة لدى علماء البلاغة منذ عهد الشيخ عبدالقاهر الجرجاني ، حتى الآن ، وهذه الفكرة كانت من الأسس البلاغية التي اعتمد عليها فكر القاضي الجرجاني إلا أنه قد جاء كلامٌ له في وساطته يوهم بأنه يعتبر الاستعارة لونا من ألوان البديع ، كقوله: " ومتى جمعت ذلك ثم قرنت إليه امرأ القيس (٢):

تَصُدُّ وَتُبْدِي عن أسِيلٍ وَتَتَّقِي بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْش وَجْرَةَ مُطْفِلِ

أو قابلته بقول عَدِيّ بن الرقاع:

وَكأَنَّهَا بَيْنَ النَّسَاءِ أعارَهَا عَيْنَيْهِ أحْوَرُ مِنْ جَآذِرِ جَاسِمِ

رأيت إسراع القلب إلى هذين البيتين ، وتبينت قربهما منه والمعنى واحد ، وكلاهما خال من الصنعة بعيد عن البديع ، إلا ما حسن من الاستعارة اللطيفة التي كسته هذه البهجة " (٣).

---

(١) القاضي الجرجاني والنقد الادبي ، ص٣٨٦

(٢) الديوان ص ٢٨.

(٣) الوساطة ص٣١ ،٣٢

وكقوله: " ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة ، ولا تحفل بالإبداع والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر ، ونظام القريض " [١].

ومن هذين القولين نتوهم أن القاضي الجرجاني كان يعد الاستعارة لونًا من ألوان البديع ، لكننا إذا دققنا النظر في هذين القولين نجد أن القاضي لا يعتبر الاستعارة لونا من ألوان البديع ؛ بدليل أنه في القول الأول استثنى الاستعارة من الصنعة ، فقال:

"وكلاهما خال من الصنعة بعيد عن البديع ، إلا ما حسن به من الاستعارة اللطيفة ، التي كسته هذه البهجة ".

وفي القول الثاني عطف الاستعارة على الإبداع ، والعطف هذا يقتضي أن الاستعارة تكون مغايرة لما عطفت عليه من الجناس والمطابقة والإبداع.

وقد وجدت مثل هذا القول في الوساطة أقوال أخرى ؛ تؤكد على أن القاضي الجرجاني لا يعتبر الاستعارة لونًا من ألوان البديع ، ومن هذه الأقوال القول الذي يتحدث فيه عن قسم من أقسام الشعراء وهم الشعراء: الذين يميلون إلى الإغراب وشهوة التنوق ، إذ يقول:

" فإن دعاه حب الإغراب وشهوة التنوق إلى تزيين شعره وتحسين كلامه ، فوشحه بشيء من البديع وحلاه ببعض الاستعارة "[٢].

ومنها: "وبها يتوصل إلى تزيين اللفظ وتحسين النظم والنثر ، وقد قدمنا عند ذكرنا البديع نبذا منها مثَّلنا بها المستحسن والمستقبح ، وفصلنا بين المقتصد والمفرط " .[٣]

(١) الوساطة ص٣٣، ٣٤

(٢) السابق ص ٥٢

(٣) السابق ص ٤٢٨

ولكننا إذا تدبرنا هذا الكلام لوجدنا أن القاضي الجرجاني يؤمن بأن الاستعارة وإن كانت تزيينا للفظ وتحلية للكلام وتحسينا للنظم والنثر ، إلا أنه يعرف أن هذا الحسن أمر ذاتي لا عرضي.

وأما بدؤه الحديث عن البديع بالاستعارة ، والذي يفهم من قوله: " وقد قدمنا عند ذكرنا البديع نبذا منها مثلنا بها المستحسن والمستقبح ".

فلا يعني أنه يدخل الاستعارة في البديع ؛ ويجعلها لونًا من ألوانه ، ويكون سبب ذكره لها مع البديع لأنه يرى أن الاستعارة تضفي على الكلام زينةً وحسنًا مثل البديع ؛ ومما يؤكد ما ذهبت إليه أنه كان دائما يعطف الاستعارة على البديع، والعطف يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه كما أشرت آنفًا.

فالقاضي الجرجاني إذن لا يعتبر الاستعارة بديعًا ، بل ولا يطلق عليها اسم البديع بمعنى الجديد والطريف كما اعتبرها ابن المعتز ، ومن تبعه كأبي هلال العسكري وابن رشيق ، ولا بالمعنى الذي قصده المتأخرون من علماء البلاغة كالخطيب القزويني ، ومن تبعه من أن الاستعارة فن من فنون علم البيان ، الذي ينحصر دوره في التصوير ولا يضفي على الكلام زينة وحسنًا مثل البديع ، وإنما يعتبرها لونا بلاغيا يجمع بين التصوير والزينة

* منزلة الاستعارة عند القاضي الجرجاني:

ينظر القاضي للاستعارة على أنها: " توسعة في اللغة وعامل من عوامل نموها وإثرائها ، كما أنها مظهر من مظاهر حسنها وجمالها ولعله ؛ من هنا كان احتفاله بها وتوضيحها لها ، ولفته أنظار الباحثين والدارسين إلى الفرق بينها وبين التشبيه الذي هو أصلها "[1].

(١) القاضي الجرجاني والنقد الأدبي ص٣٨٧

يقول القاضي الجرجاني: " فأما الاستعارة: فهي أحد أعمدة الكلام ، وعليها المعول في التوسع ، والتصرف ، وبها يتوصل إلى تزيين اللفظ ، وتحسين النظم والنثر " (١).

ومن هذا القول نتبين منزلة الاستعارة:عند القاضي إذ جعلها أحد أعمدة الكلام ، وعليها المعول في التوسع والتصرف ، وجعل الاستعارة يتوصل بها إلى تزيين اللفظ ، وتحسين النظم والنثر.

* تعريف القاضي للاستعارة:

عرف القاضي الجرجاني الاستعارة بقوله: " ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الأصل ، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها ، وملاكها تقريب الشبه ، ومناسبة المستعار له للمستعار منه ، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة ، ولا يتبين في أحدهما إعراض " (٢).

ويمكن القول بأن القاضي الجرجاني هو أول من عرّف الاستعارة بتلك الطريقة الواضحة ؛ إذ جعل أساس الاستعارة وقوامها يعتمد على قرب الشبه بين المستعار والمستعار له ، ومناسبة المستعار له للمستعار منه ، وامتزاج اللفظ بالمعنى بحيث يتآلفا ولا يوجد بينهما تنافر أو إعراض من أحدهما عن الآخر.

ويلاحظ أن هذا التعريف يعد من التعريفات المانعة في تلك الفترة ؛ إذ لم تكن معظم التعريفات السابقة لهذا التعريف مخرجة للتشبيه البليغ ولا للمجاز المرسل ،أما تعريف القاضي الجرجاني فقد أخرج منها تلك الصور جميعاً.

(١) الوساطة ص ٤٢٨

(٢) السابق ص ٤١

*** تقسيم القاضي الجرجاني للاستعارة:**

من خلال قراءتي لوساطة القاضي لكل ما كتبه عن الاستعارة تبينت أنه قد قسمها إلى قسمين:

أولا) الاستعارة التصريحية:

وهي التي أشار إليها بتعريفه للاستعارة الذي ذكرته آنفا ، وهذا القسم لا يشك القاضي في وضوح جودته وحسنه ، وروعته.

ثانيا) الاستعارة المكنية:

وقد كانت الاستعارة المكنية تمثل معظم حديثه عن الاستعارة كلون بياني ، إذ مُلئت معظم صفحات الوساطة بالتمثيل لها للسيئ منها والحسن على السواء ، وقد وضَّح القاضي الجرجاني هذا القسم بقوله: " إنه يميز بقبول النفس ونفورها، وينتقد بسكون القلب ونبوه "[1].

إذن فالجرجاني لا يعرف مقياسًا لجودة الاستعارة أو رداءتها ، إلا قبول النفس أو نفورها ،

وكان يرى أن الشاعر إذا اقتصد في هذا النوع من شعره يتسم شعره بالحسن والجودة ، وإن أفرط يتسم بالقبح والرداءة.

وقد فرق القاضي بين القسمين:

بأن الاستعارة في القسم الأول تعتمد على وضوح الشبه ومناسبة المستعار له للمستعار منه ، بينما تعتمد الثانية على قبول النفس ونفورها وسكون القلب ونبوه.

---

(١) الوساطة ص٤٢٩

وقد كان في الوساطة فصل تحدث فيه القاضي عن إفراط الشعراء في الاستعارة دفاعا عن أبي الطيب في بيتين أفرط فيهما في الاستعارة ، إذ ذكر أن صاحبا له جاراه أبياتا لأبي الطيب خرج فيها عن حد الاعتدال في الاستعارة ، فأورد منها بيتين للمتنبي ، وأنه (القاضي) قد رد عليه بأبيات لابن أحمر وأبي رميلة ، والكميت ، والعبقي ، وهم جميعا قد جعلوا الدهر شخصا متكامل الأعضاء تام الجوارح ، فلماذا ينكر إذن على أبي الطيب جعله للزمان فؤادا ؟

وأن صاحبه ذلك لم يستطع جوابا ، وكل ما قاله:

إننى أجد الفرق واضحاً بقلبي ، ولا أستطيع الإفصاح عنه ، فحاول القاضي الجرجاني الإفصاح عن هذا الفرق ، فيوضح هذا الفرق بإرجاعها للاستعارة المكنية ، يقول القاضي:

" وقد كان بعض أصحابنا يجاريني أبياتا أبعد أبو الطيب فيها الاستعارة ، وخرج عن حد الاستعمال والعادة ، فكان مما عدد منها قوله [١] :

مَسَرَّةٌ فـي قُلُـوبِ الطِّيـبِ مَفْرِقُهـا وَحَسْرَةٌ فِي قُلُوبِ البيْض واليلَبِ[٢]

وقوله [٣]:

تجمعـــتْ فـــي فُـــؤادهِ هِمَـــمٌ مـــلء فـــؤاد الزمـــان إحـــداها

(١) ديوانه (١: ٩٠)

(٢) اليلب: الدرع تتخذ من الجلود.

(٣) ديوانه (٤: ٢٢٧).

فقال: جعل للطيب والبيض واليلب قلوبا ، وللزمان فؤاداً ، وهذه استعارة لم تجر على شبه قريب ولا بعيد ، وإنما تصح الاستعارة وتحسن على وجه من المناسبة وطرف من الشبه والمقاربة.

فقلت له هذا ابن أحمر ، يقول:

ولهت عليه كل مُعْصِة هَوْجاْء ليس لِلُبِّها زَبْر [1]

فما الفصل بين من جعل للريح لبًا ، ومن جعل للطيب والبيض قلبًا !

وهذا أبو رميلة يقول:

هم ساعِدُ الدّهر الذي يتقي به وما خير كف لا تنوء بساعدِ

وهذا الكميت يقول:

ولما رأيت الدَّهْرَ يَقْلِبْ ظهره على بطنه فعل الممعّك [2] بالرَّمْل

وشاتم الدهر العبقي يقول:

ولما رأيتُ الدهر وَعْرًا سبيلُه وأبدى لنا ظهرا أجبّ مستمعا

ومعرفة حصاء غير مفاضة عليه ولونا ذا عثانين أجْدَعا

وجبهة قرد كالشِّراك ضئيلة وصعّر خديه وأنفا مُجّدَّعا

فهؤلاء قد جعلوا الدهر شخصًا متكامل الأعضاء ، تام الجوارح فكيف أنكرت على أبي الطيب أن جعل له فؤادًا !

(١) الزبر: الرأي أو القوة.

(٢) التمعك: التمرغ

فلم يُحِرْ [١] جوابًا غير أن قال: أنا استبرت [٢] ووجدت بين استعارة ابن أحمر للريح لبا ، واستعارة أبي الطيب للطيب قلبا بونا بعيدا ، وأصبت بين استعمال ساعد الدهر في بيت ابن رميلة ، واستعمال فؤادٍ للزمان في بيت أبي الطيب فصلا جليا ، وربما قصر اللسان عن مجاراة الخاطر ، ولم يبلغ الكلام مبلغ الهاجس " . [٣]

ويلاحظ أن القاضي الجرجاني جعل الأبيات التي استشهد بها من الاستعارة المكنية وهذا يؤكد ما ذهبت إليه من أنه كان يعتبر الاستعارة المكنية قسمًا من أقسام الاستعارة وأن التصوير بها كان أساسا من الأسس التي كان يعتمد عليها فكره البلاغي.

* الفرق بين التشبيه والاستعارة:

فرق القاضي الجرجاني بين الاستعارة والتشبيه في وساطته ، وقد أشار القاضي الجرجاني إلى هذا بقوله:

" فقد رأيت بعض أهل الأدب ذكرَ أنواعًا من الاستعارة عدّ فيها قول أبي نواس:

والحُـــبُّ ظَهْـــرٌ أنـــت راكبـــهْ فـــإذا صـــرفتَ عِنانـــه انصـــرفا

(١) يقال كلمته فما أحار جوابا ؛ أى ما رد جوابا.

(٢) سبر الشيء: خبره ، والسبر: استخراج كنه الأمر كالاستبار.

(٣) الوساطة ص ٤٢٩ ، ص٤٣٠.

ولست أرى هذا وما أشبهه استعارة ، وإنما معنى البيت أن الحب مثل ظهر أو الحب كظهرِ تُديره كيف شيءت ، وإنما الاستعارة ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الأصل ، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها. " (١)

ويلاحظ أن القاضي الجرجاني قد فرق بين التشبيه والاستعارة على أساس من حذف المشبه به أو ذكره ، فإذا ذكر ، المشبه به مع المشبه كان الكلام تشبيهًا ، وإذا حذف المشبه واكتفي بالمشبه به كان الكلام استعارةً ، والتشبيه الذي يقصده القاضي في هذا الموضع هو التشبيه البليغ ، والاستعارة التي يقصدها هي الاستعارة التصريحية ، ويرى الأستاذ الدكتور بدوى طبانة: " أن الجرجاني كان في مقدمة العلماء الذين فرقوا بين التشبيه والاستعارة ، وقد كان غير متميز في أذهان كثير منهم إلى وقته " (٢).

(١) الوساطة ص ٤١.

(٢) البيان العربي للدكتور بدوي طبانة ، ص ١١٤ ، ط ثالثة

المبحث الثالث

إشارات الجرجاني إلى مسائل من علم البديع في كتاب الوساطة

كان القاضي يذكر لفظ البديع ، ولم يقصد به العلم الذي اكتملت أركانه وضبطت قواعده ونظمت أغراضه ؛ وإنما كان يقصد بهذا اللفظ الحُسن والجمال وكل جديد ، وبهذا يتبين لنا أنه كان لا يخرج في استعماله للفظ البديع عن علماء اللغة ، وقد كان في الوساطة عبارات تشير إلى هذا ، ومنها: " ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة ، ولا تحفل بالإبداع والاستعارة ، إذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض ، وقد كان يقع ذلك [1] في خلال قصائدها ، ويتفق لها في البيت بعد البيت على غير تعمد وقصد ، فلما أفضى الشعر إلى المحدثين ، ورأوا مواقع تلك الأبيات من الغرابة والحُسن ، وتميزها عن أخواتها في الرشاقة واللطف ، تكلفوا الاحتذاء عليها فسموه البديع فمن محسن ومسيء ، ومحمود ومذموم ، ومقتصد ومفرط " [2].

ومعني هذا أن القاضي لم يقصد بهذا اللفظ ما توصل إليه علماء البلاغة من علم البديع ، ومع هذا فإننا نلاحظ أنه قد ذكر عددًا كبيرًا من الألوان البديعية في وساطته لكنها لم تجئ على الترتيب الذي وصل إليه المتأخرون (القزويني) ، فلم يقسم البديع إلى معنوي ولفظي ولم تأت منه ولو إشارة واحدة إلى هذا ، فلم يفرق بين المعنوي واللفظي ، إذ بدأ ذكر هذه الألوان بالجناس وأنواعه ، وليس هذا فحسب بل أدخل فيها ، وعد منها ما ليس منها كالالتفات ،

---

(١) ذلك ؛ أي استعمال البديع

(٢) الوساطة ص ٣٣ ، ص٣٤.

لكني أعرض هذه الألوان على المنهج الذي سرت عليه من أول البحث ، وهو اتباعي للقزويني في ترتيب الفنون البلاغية.

أولاً: المحسنات المعنوية

ومن الألوان البديعية التي ذكرها في وساطته وتدخل تحت المحسنات المعنوية:

المطابقة [1]

أول مرة ذكر القاضي فيها لفظ الطباق حينما كان يعلق على أبيات أوردها لأبى تمام ، إذ يقول:

" فلم يخل بيت منها من معني بديع وصنعة لطيفة ، طابق وجانس ، واستعار فأحسن " [2].

لم يذكر القاضي تعريفًا للمطابقة ،أو حدًّا لها يميزها ، وإنما ذكر أن هذا اللون البديعي لون ليس بالسهل معرفته ، أو الإتيان به في القول ؛ إذ له شعب خفية غامضة لا تدرك بسهولة ومعالم غير واضحة لا يميزها إلا صاحب النظر الثاقب والذهن اللطيف ، كما أخبرنا بأنه لم يقصد أن يفتح الكلام عن هذا الفن بشكل متعمق ، إذ يكتفي بالإشارة إلى بعض أقسامه والتمثيل لها .

يقول القاضي: " وأما المطابقة فلها شعب خفية ، وفيها مكامن تغمض ، وربما التبست بها أشياء لا تتميز إلا للنظر الثاقب ، والذهن اللطيف ، ولا استقصائها موضع هو أملك به.

(١) المطابقة وهي الجمع بين المتضادين ، أى معنيين متقابلين في الجملة. الإيضاح ص ٣٨٣.
(٢) الوساطة ص٣٣.

ولم نفتح هذا الكلام ، وقصدنا ما جرى بنا القول إليه ؛ لكن الحديث شجون " [1].

* أقسام الطباق التي ذكرها القاضي:

١- طباق الإيجاب: " طباق الإيجاب هو: كون المعنيين المتقابليين أو المتضادين مثبتين معاً أو منفيين معًا " [2]

ومن الأمثلة التي ذكرها لهذا القسم:

" قول دِعْبِل [3]:

لا تعجبي يا سَلْم من رجلٍ ضَحِك المشيب برأسهِ فبكَى

.....

قول أبي تمام [4]:

وتنظَّرى خِبَبَ الرِّكاب يَنُصَّها [5] مُحْيِى القريض إلى مُمِيت المال"[6]

والأمثلة التي أوردها القاضي جاء الطباق فيها بين معنيين مثبتين ، وهو بهذا يتفق مع البلاغيين المتأخرين في مفهومه لطباق الإيجاب.

(١) الوساطة ص ٤٤.

(٢) جنى البديع دراسة تحليلية لمسائل علم البديع ، للباحثة ص ٤٣ ، الطبعة الأولى ط/ دار الزهراء للنشر والتوزيع

(٣) نهاية الأرب (٧: ١٠)

(٤) مختارات البارودى (١: ١٩٧).

(٥) النص: السير السريع

(٦) الوساطة ص ٤٤ ، ص ٤٥

٢- طباق السلب: " وهو ما كان أحد المعنيين المتضادين أو المتقابلين أحدهما مثبتًا والآخر منفيًّا أو أمرًا والآخر نهيا " [١].

وقد مثل القاضي الجرجاني لهذا القسم إذ يقول:

" قد يجيء منه جنس آخر تكون المطابقة فيه بالنفي ، كقول البحترى [٢]:

يُقَيّض لي من حيث لا أعلم الهوى ويسرى إلى الشوق من حيث أعلم

لمَّا كان قوله: (لا أعلم) كقوله: أجهل ، وكان قوله: أجهل مطابقة كان الآخر بمثابته " [٣]

٣- الطباق الغريب اللطيف:

وقد أتى القاضي بقسم من أقسام الطباق وصفه بالغريب اللطيف ، وهو ما جعله البلاغيون المتأخرون من ملحقات الطباق ، " وهو الجمع بين معنيين يتعلق أحدهما بما يقابل الآخر نوع تعلق كالسببيه أواللزومية " [٤].

يقول القاضي: " ومن أغرب ألفاظه وألطفها ما وجد منه قول أبي تمام [٥]: [٥]:

مَهَا الوحش إلاَّ أنَّ هاتاَ أوَانِسٌ قَنَا الخطِّ إلاَّ أن تِلك ذَوَابِلُ

---

(١) جنى البديع ص ٤٣.

(٢) ديوانه (٢: ٢٢٩)

(٣) الوساطة ص٤٥

(٤) جنى البديع للباحثة ص٥٤

(٥) ديوانه ص٢٢٧ ، نهاية الأرب (٧: ٩٩) ،وقد نسبه هناك إلى ابن المعتز.

فطابق (بهاتا وتلك) وأحدهما للحاضر ، والآخر للغائب فكانا نقيضين في المعنى ، وبمنزلة الضدين " [١] ، وطابق بين (أوانس و ذوابل) إذ الذبول يتعلق بالوحشة فهو لازم عنها والوحشة مضادة للأنس.

تلك هي الأقسام التي أشار إليها القاضي في وساطته وأراه مصيبًا في هذا التقسيم كما أراه مصيبًا في التطبيق على هذه الأقسام.

لكنَّ الدكتور عبده قلقيلة يراه يخطئ في أحد التطبيقات ، وهو جعله الطباق بين (هاتا) و (تلك) في بيت أبي تمام من طباق السلب إذ يرى الدكتور قلقيلة أن ذلك الطباق من طباق الإيجاب ، وليس من طباق السلب كما قال [٢].

وأنا لستُ مع الدكتور قلقيلة ؛ لأنى أعتقد أن القاضي لم يقصد من التمثيل بهذا البيت التمثيل لطباق السلب ؛ وإنما أراد من التمثيل هذا لأغرب وألطف ما وجده من الطباق فالضمير في (ألفاظه – منه) يعود إلى الطباق عمومًا وليس إلى طباق السَلب.

وبعد أن انتهى القاضي من ذكر أقسام الطباق والتمثيل لها رأى من الأهمية بمكان أن يشير إلى أن هناك من الشعراء من يخلط بين الطباق وغيره من الألوان كالتقسيم مثلاً ، أو يدخل فيه ما ليس منه إذ يقول:

" وقد يخلط من يَقْصُر علمه ويسوء تمييزه بالمطابق ما ليس منه ، كقول كعب بن سعد [٣]:

---

(١) الوساطة ص ٤٥

(٢) ينظر القاضي الجرجاني والنقد الأدبى ص ٣٩٤

(٣) جمهرة أشعار العرب ص٢٧٥ والأمالى ٢: ١٤٨ من قصيدته التي مطلعها:

تقول سليمى ما لجسمك شاحبا كأنك يحميك الطعام طبيب

لقد كان: أمَّا حِلْمُه فمروَّحٌ علينا وأمَّا جَهْلُهُ فعزيب [1]

لما رأى الحلم والجهل ، ومروَّحًا وعزيبًا جعلهما في هذه الجملة ، ولو ألحقنا ذلك بها لوجب أن نلحق أكثر أصناف التقسيم ، ولا تسع الخرق فيه حتي يستغرق أكثر الشعر " [2].

فالقاضي يرى أن الشاعر قد خلط الطباق بالتقسيم ، وهذا عيب.

وأرى أن هذا ليس بعيب ؛ إذ ليس من المانع أن تتزاحم الألوان البلاغية على النص الواحد، هذا إن كان يقصد أن الشاعر قد أتى بلونيين في البيت ، أما إن كان يقصد أن الشاعر قد طابق بين مروح وعزيب وأن الشعر غير سديد في هذا ، فأنا لستُ معه إذ إن التضاد واضح بين (مروح وعزيب) حيث إن مروح بمعنى القريب ، والعزيب بمعنى البعيد ، ولا أدري ماذا يقصد من نقضه لهذا البيت.

المقابلة [3]

لم يذكر القاضي المقابلة في وساطته على أنها لون من الألوان البديعية أو يُفردها بدراسة أو حتى بالحديث عنها ، فكل ما وجدته له في الوساطة عن المقابلة مثال أوضح فيه أن الشاعر قد قابل بين معنيين في البيت ، ولا أدري ماذا كان يقصد بالتقابل المطابقة أم المقابلة المعروفة لدينا الآن ، ولكن على أية حال فإن القاضي كان من الذين لا يفرقون بين الطباق والمقابلة إذ لم يفرق بينهما سوى الخطيب ومن تبعه ، وحتى الخطيب يرى أن المقابلة قد تتركب من طباق وملحق به،والمثال الذي أوضح فيه المقابلة هو بيت لأبي تمام،والذي يقول فيه :

---

(١) مروح علينا: قريب منا ، والعزيب: البعيد مثل العازب .

(٢) الوساطة ص٤٥ ، ص٤٦

(٣) المقابلة: وهو أن يأتى بمعنيين متوافقين أو معاني متوافقة ثم ما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب ، والمراد من التوافق خلاف التقابل ، الإيضاح ص ٣٨٨

حلَّتْ محلَّ البِكْر من مُعْطى وقد زفّت من المعطِى زفَافَ الأيمِّ

وقال القاضي معلقًا على هذا البيت " فجعل الأيم مقابل البكر في التقسيم " (١).

التقسيم (٢)

لم يذكر القاضي تعريفًا للتقسيم ، ولكنه ذكر أن للتقسيم نوعان ، وهما:-

١) التقسيم الموصول: وهو التقسيم المقبول عنده ، والذي اعترف به علماء البلاغة المتأخرون وقد مثل لهذا القسم ببيت لزهير وبيت لعنترة ، والبيتين هما على الترتيب: " قول زهير (٣):

يَطْعَنُهمْ ما ارتَمِوْا حتى إذا اطَّعَنُوا ضارَبَ حتى إذا ما ضارَبُوا اعْتَنَقَا (٤)

فقسم البيت على أحوال الحرب ومراتب اللقاء ، ثم ألحق بكل قسم ما يليه في المعنى الذي قصده من تفضيل الممدوح ، فصار موصولاً به ، مقرونًا إليه.

ونحو قول عنترة (٥):

إن يَلْحَقُوا أكرر وإن يستَلْحِموا (٦) أشدد وإن نزلوا بضيق أَنْزل

(١) الوساطة ص٧٩

(٢) التقسيم: هو ذكر متعدد ، ثم إضافة ما لكل إلـه على التعيين. الإيضاح ص٤٠٥

(٣) ديوانه ص٤١

(٤) يقول: إذا ارتمى الناس في الحرب بالنبل دخل تحت الرمي فجعل يطاعنهم ، فإذا تطاعنوا ضارب بالسيف ، فإذا تضاربوا بالسيوف اعتنق كل قرن قرنه والتزمه.

(٥) ديوانه ص ١٠٠

(٦) يقال: استلحما رجل من العدو أى تبعنا

فهذا كالأول في الصنعة،وإن كان إنما أزوج كل قسم بقرينه،وما هو وفقه، ولم يرض الأول إلا بأن قسم،ثم تقدم عن كل قسم قُدُمًا،وارتفع عليه درجة".[١]

٢) التقسيم المُقَطَّع: وهو الذي أسماه القاضي بالقسمة المطلقة أو غير المشفوعة ، والقاضي لا يسمح بتسمية هذا القسم بالتقسيم ، وذلك " كقول النابغة[٢]:

فلله عينا من رأى أهلَ قبة ضَرّ لمن عَادَى وأَكثر نافعًا

وأعظمَ أحلاما وأكرم سيدا وأفضل مشفوعاً إليه وشافعًا

فهذا ضرب من التقطيع على معانٍ مختلفة ؛ ولست أسمح بتسميته تقسيمًا ؛ وقد رأيتُ من يُطلق له هذه السمَّة ". [٣]" والحق مع الجرجاني ؛ لأن هذا مجرد ذكر حالات يمكن أن يزاد عليها كما يمكن أن ينقص منها ، وأما التقسيم فتشمل الأقسام فيه كل الأجزاء بحيث لو جمعناها حصل لنا المقسوم "[٤]. وقد أشار القاضي إلى نوع آخر من التقسيم الذي يرفضه ، والذي يسميه بجمع الأوصاف ، إذ يقول: " ومما يقارب هذا جمع الأوصاف ، كقول أبي داؤد:

بعيد[٥]مدى الطرف خاَظِي البضيع مُمَرّ المَطَا سَمْهري العَصَبْ [٦]

(١) الوساطة ص٤٦ ، ص٤٧

(٢) لم أعثر عليهما في الديوان ، وهما في العمدة (٢: ٢٢)

(٣) الوساطة ص ٤٧

(٤) القاضي الجرجاني والنقد الأدبي ص ٣٩٥

(٥) في ا (بديع) ، وصوابه في ب

(٦) خاظي البضيع: ممتلئ اللحم ، وممر: مفتول ، والمطا: حبل المتن ، والسمهري: الشديد ، والعصب جمع أعصاب وهي أطناب المفاصل التي تلائم بينها وتشدها ، وفي العمدة: "سمهري القصب "

البضيع

وقد يجمع على نوع آخر ، كقول النابغة [١]:

حَدِيـــدُ الطَّـــرْفِ والمنكِـــب والعُرقـــــوب والقَلْـــــبِ "[٢]

ثانياً: المحسنات اللفظية

الجناس [٣]

لم يذكر القاضي للجناس تعريفًا ، ولكنه قسمه إلى:

١- الجناس التام [٤]: وهو ما عرف عند القاضي بالجناس المستوفي[٥] ، ، ومن الأمثلة التي ذكرها القاضي لهذا الجناس " قول أبي تمام [٦]:

ما مات من كرم الزمان فإنه[٧] يحيا لدى يحيى بن عبد الله [٨]

---

(١) نسبه أبو على القالى إلى أبي داؤد. وقال أبو عبيد البكري: " الصحيح أنه لعقبة ابن سابق الهذاني ".وقبله:

طويل طامح الطرف إلى مفزعة الكلب

(٢) الوساطة ص ٤٧

(٣) هو تشابه اللفظين في النطق والتلفظ بهما مع اختلافهما في المعنى. ينظر الإيضاح ص ٤٣١ .

(٤) هو أن تتفق اللفظتان المتجانستان في نوع الحروف وعددها وهيئتها وترتيبها. ينظر السابق نفسه .

(٥) وهو أن يختلف اللفظان في نوع الكلمة بأن يكون أحدهما اسمًا والآخر فعلًا أو أحدهما حرفًا والآخر اسمًا أو فعلًا.

(٦) ديوانه ص ٣٤١ ، نهاية الأرب (٧: ٩٠) ، الطراز للعلوى (٢: ٣٥٧)

(٧) رواية الديوان: * من مات من حدث الزمان فإنه *

(٨) من قصيدة يمدح بها يحيى بن عبد الله

فجانس بيحيا ويحيى ، وحروف كل واحد منهما مستوفاة في الآخر ، وإنما عُدَّ في هذا الباب لاختلاف المعنيين ؛ لأن أحدهما فعل ، والآخر اسم ولو اتفق المعنيان لم يُعَدّ تجنيسًا ، وإنما كان لفظة متكررة ، كقول امرئ القيس [١]:

فلمـــا دنـــوت تَسَـــدَّيتُها [٢] فثوبًـــا نســـيتُ وثوبًـــا أَجُـــرّ

فقد تكرَّر في البيت ذكر الثوب ، كما تكرر ذكر يحيى في بيت أبي تمام ، إلا أن هذين اتفق معناهما ، واختلف ذانك المعنيان ، فَعُدّ الأول من البديع " [٣].

إذن القاضي يشترط اختلاف المعنى بين الكلمتين المتجانستين ، وبهذا يوافق فكره فكر البلاغيين.

" ويضيف الجرجاني إلى هذا القسم من التجنيس ، قول الأعشى:

إن تَسُـدِ الحُـوصَ فلـم تَعْـدُهم وعـــامِرٌ ســـادَ بنـــي عـــامرِ

ذاهبًا إلى أنه قد جانس بعامر وعامر ؛ لأن الأول اسم رجل والآخر اسم قبيلة.

ولست معه في ذلك فعامر الأول اسم علم ، وكذلك عامر الثاني فمعناهما واحد ، وقد جاء القبيلة من إضافة بني عامر ولو كان الشاعر قال:

وعامر ساد عامرًا لكان تجنيسًا لا محالة " [٤].

---

(١) ديوانه ص ٩

(٢) تسديتها: تناولتها وقصدت إليها

(٣) الوساطة ص ٤٢ ص٤٣

(٤) القاضى الجرجاني والنقد الأدبي ص ٣٩٢

٢- الجناس الناقص: [١]

الجناس الناقص قد أورده القاضي تحت عنوان الجناس المطلق ، وقد مثل القاضي لهذا النوع بـ " قول النابغة [٢]:

وأَقْطَعُ الخَرْق بالخَرْقاء قد جَعلت بعد الكَلالِ تشكَّى الأيْنَ والسّأماَ [٣] " [٤]

وقد مثل لهذا النوع بأمثلة أخرى ، كقول الشِّنْفَرَي ، ورؤبة وأبي تمام ، والبحتري.

على أن القاضي الجرجاني لم يأتي بهذه الأمثلة تحت عنوان الجناس الناقص ، وإنما أتى بها تحت عنوان الجناس المطلق.

ولا أدري ماذا يقصد بالجناس المطلق ، أهو يقصد بلفظ مطلق أنه غير مقيد بتقسيم ؟ فلو كان يقصد هذا فهو غير محق ؛ إذ كل الأبيات التي أوردها تدخل تحت قسم الجناس الناقص.

---

(١) وهو ما اختلف اللفظان فيه في عدد الحروف بأن كان عدد أحد اللفظين زائد والآخر ناقص. ينظر الإيضاح ص ٤٣٤

(٢) ديوانه ص ٦٧

(٣) الخرق: الواسع من الأرض الذي يتخرق فيه الريح. والخرقاء: الناقة التي بها هوج من نشاطها.

والأين: الإعياء. والسأم: الفتور والملل ، يشير إلى بعد السفر وطوله ، وأنه استعمل هذه الناقة نشيطة في أول أمرها حتي أعيت من طول السفر ، فلو كانت مما يشتكى لشكت طوله. شرح ديوان النابغة للبطليوسي ص ٦٧.

(٤) الوساطة ص ٤١

أما إذا كان يقصد بلفظ (المطلق) مطلق تجنيس ، بمعنى أن في هذه الكلمة مطلق شيء من جنس الشيء الذي في الكلمة الأخرى ، فيقبل كلامه ويكون قصده بهذا العنوان (التجنيس المطلق) التقديم للجناس عمومًا قبل أن يورد الأقسام. إذ نجده صدر الحديث به عن الجناس.

ومن الأمثلة التي أوردها تحت عنوان الجناس الناقص،" قول الأخْنَس بن شهاب:

وحامي لواء قد قَتَلنا وحاملٍ لواءً منعنا والسيوفُ شَوارعُ "

وهذا المثال ليس من الجناس الناقص ؛ في شيء إذ إن عدد الحروف واحد ولا أعرف كيف غاب هذا الأمر عن ذهن القاضي !.

وليس هذا فحسب ، بل قال كلام غريبًا إذ يقول" فجانس (بحامي وحامل) والحروف الأصلية في كل واحد منهما تنقص عن الآخر " [١].

ولا أرى مبرر لإتيان القاضي به تحت هذا العنوان ، (الجناس الناقص) وكان الأجدر به أن يضعه تحت عنوان الجناس اللاحق [٢] ؛ إذ الاختلاف بينهما في نوع الحروف في (الياء) من مخرج ، و (اللام) من مخرج.

ومن الأمثلة التي أوردها القاضي في مكانها (الجناس الناقص) ، " قول أبي تمام [٣]:

يمدُّون من أيْدٍ عواص عواصِم تطول[٤]بأسْيافٍ قواضٍ قواضبِ "[٥]

(١) الوساطة ، ص ٤٣

(٢) وهو ما كان الحرفان المختلفان فيه متباعدين في المخرج سواء أكانا في أول اللفظ أو في وسطه أو في آخره. ينظر الإيضاح ص٤٣٦

(٣) ديوانه ص ٤٢ ، أسرار البلاغة ص ١٣ ، نهاية الأرب (٧: ٧١) ، الطراز (٢: ٣٦٢).

(٤) في الديوان: " تصول "

(٥) الوساطة ص٤٣

فجانس بين (عواص) ، و(عواصم) ، وبين (قواض) ، و(قواضب) ، " وأما قوله:

خَلَّفْتَ بالأفق الغربيّ لي سكَنًا قد كان عيشي به حُلْوًا بحلوان

فهو من الأول وليس بناقص ؛ لأن الألف والنون في حلوان زائدتان. هكذا قال الجرجاني ولا أقره على ذلك ؛ لأن حلوان وإن كان في الأصل مثنى حلو ، إلا أنه قد صار علمًا على بلد ، فهو جناس ناقص.

وهذا يقوي ما سبق أن قلناه من أن ما مثل به الجرجاني للتجنيس المطلق يمكن التمثيل به للجناس الناقص " [1].

٣- الجناس المُصَحَّف [2]:

الجناس المصحف قد أورده القاضي الجرجاني في وساطته تحت عنوان التصحيف كلون مستقل من ألوان البديع ، ولم يورده ضمن أقسام الجناس في حين أنه يعلم أنه داخل ضمن أقسام الجناس ، لكنه فضل أن يجعله في باب على حِياله ، يقول القاضي: " وهذا يدخل في بعض الأقسام التي ذكرناها في التجنيس ؛ لكن ما أمكن فيه التصحيف فله بابٌ على حِياله ، وجانبٌ يتميز به عن غيره. " [3]

ومن الأمثلة التي أوردها ، " كقول الشاعر [4]:

(١) القاضي الجرجاني والنقد الأدبى ص ٣٩٣ .

(٢) هو ما تماثل اللفظان في الخط وتخالفا في النقط بحيث لو زال اعجام أحدهما أو كليهما لم يتميز أحدهما عن الآخر. البديع في ضوء أساليب القرآن ، دكتور عبد الفتاح لاشين ص ١٦٤ ، ط دار الفكر العربي ، ت- ط ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م.

(٣) الوساطة ص ٤٦

(٤) هو البحتري ، ديوانه (١: ١٨)

ولـم يكـن المغتـرُّ بـالله إذ سَـرى لِيُعْجِـز ، والمعتـزّ بـالله طالبُـه

وقوله [1]:

فكـأنَّ الشَّـلِيل والنَّثْـرة الحَصـ ـدَاء منـه علـى سَلِيل غَرِيـف[2]"[3]

فجانس بين (مغتر) ، و(معتز) ، وبين (شليل) ، و(سليل).

٤- التجنيس المضاف [4]: هذا القسم لم أجده في كتب المتأخرين من علماء البلاغة لا باللفظ ولا بالمعنى ، وحتى الأمثلة التي أوردها لم أشْتَمْ منها رائحة التجنيس ، ومن الأمثلة التي أوردها له " قول البحترى [5]:

أيـا قمـر التَّمـام أعَنْـت ظُلْمًـا علـيَّ تطـاولَ الليـل التَّمـام [6]

ومعنى التمام واحد في الأمرين ، ولو انفرد لم يُعَدّ تجنيسًا ؛ ولكنّ أحدهما صار موصولًا بالقمر ، والآخر بالليل ؛ فكان كالمختلفين.

وقد يكون من هذا الجنس ما تجانس به المفردُ بالمضاف ، وقد تكون الإضافة اسمًا ظاهرًا ومكنيًا ، وقد تكون نسبًا.

ومن أملح ما سمعت فيه قول أبي الفتح بن العميد: [7]

---

(١) ديوانه (١: ١٠٤)

(٢) الشليل: غلافة تلبس تحت الدرع ، والنثرة: الدرع الواسعة ، والحصداء: المحكمة ، والغريف: القضباء. وسليل الغريف: الأسد ، والبيت من قصيدة يمدح بها إبراهيم بن الحسن بن سهل.

(٣) الوساطة ص ٤٦

(٤) هو ما كان كلاً من اللفظين المتجانسين مضافًا إلى لفظ اخر.

(٥) ديوانه ص ٢٤٦.

(٦) أتم القمر: اكتمل ، وهو بدر التمام (بفتح التاء وكسرها ، ويرى ابن دريد أنه بكسرها) ، وليل التمام: أطول ليالى الشتاء.

(٧) العمدة (٢: ٤)

فإن كان مسخوطًا فقل شعر كاتب وإن كان مرضيًا فقل شعر كاتب"[١]

ولكني أري أن الأمثلة التى أوردها الجرجاني لا يوجد بها أي جناس ، ولا تدخل تحت أى نوع من أنواعه ، ولا أدري ما الجناس الذي يقصده في هذه الأمثلة.

وقول ابن العميد قد جعله ابن رشيق من الترديد [٢] ، قال ابن رشيق: " وهو داخل عندي في باب الترديد ؛ إذ كان قوله عند السخط (شعر كاتب) إنما معناه التقصير به ، وبسط العذر له ؛ إذ ليس الشعر من صناعته ، كما حكى ابن النحاس أنهم يقولون نحو كتابيّ إذا لم يكن مجودًا.

وقوله عند الرضا: (شعر كاتب) إنما معناه التعظيم له وبلوغ الغاية في الظرف والملاحة ؛ لمعرفة الكتاب باختيار الألفاظ وطرق البلاغات ؛ فقد ضاد وطابق في المعنى ، وإن كان اللفظ تجنيسًا مرددًا " [٣].

ومن هذا نعرف أن الأمثلة التي أوردها في هذا القسم لا علاقة لها بالتجنيس.

التقفية والترصيع

(١) الوساطة ص ٤٤.

(٢) الترديد: هو أن يعلق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى ، ثم يردها بعينها ويعلقها بمعنى آخر. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر ، وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الإصبع المصري ، تقديم وتحقيق دكتور / حنفي محمد شرف ، وأشرف على أصدارها محمد توفيق عويضه٢٥٣ ط الجنة إحياء التراث الإسلامي. ت. ط بدون تاريخ.

البرهان في علوم القرآن للامام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ج ٤ ص ٣٤٧. ط دار الجيل. ت. ط ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

(٣) العمدة (٢: ٤)

التقفية والترصيع [١]: من الألوان البديعية التي ذكرها القاضي الترصيع والتقفية ، وقد مثل لها بـ " قول امرئ القيس [٢]:

والمـــاء مُنْهَمِـــرٌ والشَّـــدُّ مُنْحَـــدِر والقُصْبُ مُضْطَمِرٌ والمتن مَلْحُوبُ[٣]"[٤]

وقد جمع بين (منهمر) و(منحدر) اللون البديعي عُرف بالترصيع ، إذ اتفق اللفظان وزنًا وتقفيتًا .

براعة الإستهلال والتخلص والخاتمة

يرى القاضي الجرجاني أن الشاعر الحاذق المتميز هو الذي يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدهما الخاتمة ؛ إذ هذه الأشياء هي التي تستعطف أسماع الحضور وتستميلهم إلى الإصغاء ، ثم يقرر القاضي أن الشعراء الأوائل السابقون لم يلتفتوا إلى هذه الألوان البديعية ولم يعرفوا فضلها أو قيمتها ، ثم يخبرنا بأن البحتري قد احتذى على مثالهم إلا في الاستهلال إذ لم يكن يعبأ بالتخلص ولا الخاتمة ، ولم يهتم إلا بالاستهلال ، وأما أبو تمام والمتنبي فقد ذهبا في التخلص كلَّ مذهب ، واهتمَّا به كل اهتمام ، واتفق للمتنبي فيه خاصة ما بلغ المراد ، وأحسن وزاد. [٥]

---

(١) هو أن تتفق الفاصلتان في الوزن والتقفية الروى وكان ما في إحدى القرينتين من الألفاظ أو أكثرها متفق مع ما قبله من ألفاظ في القرينة الأخرى في الوزن و التقفية ينظر الإيضاح ص ٤٤٢ .

(٢) ملحق ديوانه ٢٢٦.

(٣) القصب: أسفل البطن من الأمعاء ، ويريد به الخصر على المجاز ؛ والمضطمر: المهزول ، ويقال: لحب متن الفرس وعجزه: املاس في حدود.

(٤) الوساطة ص ٤٨

(٥) ينظر الوساطة ص ٤٨.

ثم ذكر أمثلة للبحتري عاب عليه فيه ابتداءاته ومنها " قوله [١]:

* كُفّي أرَاني وَيْكِ لَوْمِكِ أَلْوَمَا [٢] *

وقوله [٣]:

هَـذِي بَـرَزْتِ لنـا فهِجْـتِ رَسِيسَـا ثم انثَنَيْت وما شفَيتِ نَسِساَ [٤] " [٥]

[٥]

ثم وجدته بعد ذلك يذكر أمثلة من حسن ابتداءات البحترى ، ومن الأمثلة التي ذكرها " قول البحتري:

أَتُرَاهـــا لِكَثْـــرَةِ العُشَـــاقِ تَحْسِـبُ الـدِّمْعَ خِلْقَـةً فـي المـآقِي

فإنه ابتداءٌ ما سُمِع مثله ، ومعنى انفردَ باختراعه ، وقوله [٦]:

* على قَدْرِ أهْلِ العزمِ تأتى العَزائِمُ * " [٧]

ومن أمثلة التخلص المستكره للبحتري: " لعلك لا تجد له تخلصًا مستكرهًا إلا قوله [٨]:

أُحبّـــكِ أو يقولـــوا جَـــرّ نَمْـــلٌ ثَبِيـــرًا أو ابْـــنُ إِبْـــرَاهِيمَ رِيعًـــا

(١) ديوانه (٤: ٢٧)

(٢) وبقية البيت: * هم أقام على فؤاد أنجما *

(٣) ديوانه (٢: ١٥٣)

(٤) هذى: يا هذه. والرسيس: مارس في القلب من الهوي ؛ أى ثبت. والنسيس: بقية النفس.

(٥) الوساطة ص ١٥٥

(٦) ديوانه (٣: ٣٨٧) وتمامه:

* وتأتي على قدر الكرام المكارم *

(٧) الوساطة ص ١٥٨.

(٨) ديوانه (٢: ٢٥٣).

وقوله [١]:

فأَفْنَى وما أفنتْهُ [٢] نفسى كأنما أبو الفرج القاضي لـه دونها كَهْفُ"[٣]

الالتفات و التوصيل

والقاضي الجرجاني يجعل الالتفات والتوصيل لونين من ألوان حلى الشعر يجريان مجرى ألوان البديع ؛ ولكنه يمر بهما مرارًا عابرًا ، فلا يحاول تبين ملامحهما ، وإبراز معالمهما كما فعل بالألوان البديعية الأخرى ، كالتجنيس والمطابقة وغيرهما مما عده في وساطته إذ إنه يرى أن الاشتغال ببيان ضروب مثل تلك الأنواع والإتيان بشواهد وأمثلة لكل نوع منها يبخس أبا الطيب حقه في وساطته.

إذ يقول: " وقد يمتنع بعد الأدباء من تسمية بعض ما ذكرناه بديعا ؛ لكنه أحدُ أبواب الصنعة ، ومعدود في حلى الشعر ، وله أشباه تجري مجراه ، وتذكر معه ، كالالتفات والتوصل وغيرهما ، ولو أقبلنا على استيعابها ، وتمييز ضروبها وأصنافها لاحتجنا إلى اتباع كل ما يقتضيه من شاهد وبيان ومثال.

ولو فعلنا ذلك لبخسنا أبا الطيب حقه ، وافتتحنا الكتاب بذكره ثم شغلنا معظمه بغيره ؛ وإنما قدمنا هذا النبذ [٤] ؛ توطئةً لما نذكره على أثره ، وتدريجًا إلى ما بعده ؛ ليكون كالشاهد المقبول قوله ، وبمنزلة المسلم أمره. ". [٥]

---

(١) ديوانه (٢: ٢٨٤).

(٢) الضمير في: أفنته عائد على الضنى في البيت قبله ، والكهف: الموضع الذي يمنع ويعصم من يأوي إليه.

(٣) الوساطة ص ١٥٤.

(٤) النبذ: الشيء القليل.

(٥) الوساطة ص ٤٨.

هذا هو كل ما في كتاب الوساطة من بلاغة ، ونلاحظ أنه قد اتفق في مفهوم معظمها مع علماء البلاغة المتقدمين والمتأخرين ، كما أنه في معظمها غير مبتكر ولا أصيل ، وقد ألم بها الجرجاني عرضًا لا قصدًا ، فهو لم يفتح كلامه وقصده ما جرى به القول إليه.

لكن الحديث ذو شجون ، وربما احتاج الشيء إلى غيره ؛ فذكر لأجله ، وربما اتصل بما هو أجنبي منه ؛ فاستصحبه [1].

(١) السابق نفسه ص ٤٣.

الفصل الثاني

الفكر النقدي في كتاب الوساطة

ويشتمل علي ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: شخصية القاضي الجرجاني.

المبحث الثاني: الأسس النقدية التي اعتمد عليها الجرجاني في وساطته.

المبحث الثالث: الآراء النقدية للجرجاني في الوساطة.

المبحث الأول

شخصية القاضي النقدية

الذوق النقدي للقاضي الجرجاني

للقاضي الجرجاني ذوق صائب غالبًا فيما يختاره للشعراء من جيد الشعر ورديئه ، بل إنه عند رديء الكلام يطلب من السامع أن يسد مسامعه ، ويستغشى ثيابه حتى لا يرى ولا يسمع [١].

وعند القول الجيد يعجب به الإعجاب البالغ ، وهو مصيب فيما يهديه إليه ذوقه من القواعد ولكن نراه أحيانًا لا يكون صائبًا في حكمه على الشعر فقد رأيناه مثلًا يدعو إلى الاسترسال مع الطبع ونبذ التكلف ، وهو محق فيما يدعو ولكنه إذا كان لنا أن نعترض على ذوقه في بعض ما استحسنه ، أو استقبحه فإن النتائج التي وصل إليها صحيحة مسلم بها في أغلب الأحيان [٢].

المنهج النقدي للجرجاني

يعتمد منهج القاضي الجرجاني في نقده على أسس نقدية لها قيمتها في نظره ،إذ جعلها هي المقاييس التي كان يحكم على الشعراء من خلال ومن هذه الأسس:

١- قياس الأشباه والنظائر:

وقد بنى على هذا الأساس معظم (وساطته) بين المتنبي وخصومه.

فهو يبدأ كتابه بتعزيز الحقيقة التي لمسها بنفسه من تعصب الناس للمتنبي أو عليه عن هوى ، ويلاحظ أن خصوم الشاعر قد عابوه مثلًا بالخطأ ، فيحاول أن

(١) الوساطة ص ٤٠.

(٢) ينظر القاضي الجرجاني للدكتور أحمد بدوى ص ٦٧ إلى ص ٧٠

ينصف الشاعر فلا يناقش ما خطؤه فيه ، بل يقيسه بأشباهه ونظائره عند الشعراء المتقدمين ، وعنده إنهم لم يسلموا هم أيضًا من الخطأ ، فيقول:

" ودونك هذه الدواوين الجاهلية والإسلامية ، فانظر هل تجد فيها قصيدة تسلم من بيت أو أكثر لا يمكن لعائب القدح فيه ، إما في لفظه ونظمه ، أو ترتيبه وتقسيمه ، أو معناه أو إعرابه ؟ ولولا أن أهل الجاهلية جدوا بالتقدم ، واعتقد فيهم أنهم القدوة والأعلام والحجة ، لوجدت كثيرًا من أشعارهم معيبة مسترذلة ومردودة منفية ، ولكن هذا الظن الجميل والاعتقاد الحسن ستر عليهم ونفي الظنة عنهم ، فذهب الخواطر في الذب عنهم كل مذهب ، وقامت بالاحتجاج لهم كل مقام " [١] ثم يورد أمثلة لما يعتقده خطأ عند القدماء أغلبه ينحصر في التسكين ، حيث يجب التحريك وفقًا لقواعد النحو بعد أن استقرت وقنن لها [٢] ".

والناظر في كتاب الجرجاني لن يجد فيه من النقد الموضوعي المفصل غير الصفحات الأخيرة (من ٣١٥ إلى ٣٦٥ باب: ماعابه العلماء على شعر المتنبي) فهو في تلك الصفحات فقط يشبه الآمدي في " موازنته " ، وأما في بقية الكتاب فمنهجه هو ما ذكرت من " قياس الأشباه والنظائر ". [٣]

١ الوساطة ص٤

٢ ينظر السابق نفسه ص٥

٣ ينظر النقد المنهجي عند العرب ص ٢٥٦ ، ص٢٥٧

٢- قياس المقاصة:

وبيان ذلك أن القاضي الجرجاني كان " ينتهج منهج القضاة عندما يأخذون بالمقاصة فيسقطون ما على الخصم مقابل ماله ، فهو يورد عيوب المتنبي ، ثم يشفعها بمحاسنه ؛ ليعمل المقاصة في الجانبين " [١].

٣- التماس الأعذار:

كان القاضي يلتمس الأعذار للمتنبي فيما أخطأ فيه إن كان له عذر ، وقد كان يحدث هذا منه كثيرًا ؛ إذ نراه في كثير من الأحيان متحيزًا للمتنبي والأمثلة لذلك عديدة.

٤- إطالة الوقوف:

كان القاضي يطيل الوقوف حينما كان يأخِذ على أبي الطيب عيبًا أو مأخذًا يبين عيوبه ، ويذكر ما قد يكون له من توجيه.

شروط الناقد كما يراها القاضي الجرجاني

اشترط القاضي شروطًا لابد من توافرها في الناقد ، وهي:

١) سعة الصدر.

٢) الأخذ بأسباب الإنصاف والعدل.

وقد أشار إلى ذلك في بدايات كتابه إذ يقول:

" وكما ليس من شرط صلة رحمك أن تحيف لهاعلى الحق ، أو تميل في نصرها عن القصد، فكذلك ليس من حكم مراعاة الأدب أن تعدل لأجله عن الإنصاف ، أوتخرج في بابه إلى الإسراف ، بل تتصرف على حكم العدل كيف صرفك ، وتقف على رسمه كيف وقفك فتنتصف تارة وتعتذر أخرى ، وكما أن الانتصار جانب من

---

(١) النقد المنهجي عند العرب ص ٢٥٤

العدل لا يسده الاعتذار ، فكذلك الاعتذار جانب هو أولى به من الانتصار ، ومن لم يفرق بينهما وقفت به الملامة بين تفريط المقصر وإسراف المفرط " [1].

٣) الحياد في الحكم:

كان القاضي يطلب دائمًا من ناقد الشعر أن يقف موقف الحياد بين وجهات النظر المختلفة في قضايا الأدب والنقد وأن يفصل في الخصومات الأدبية دون تحيز أو محاباة ؛ إذا وقف هو موقف الحياد بين المتنبي وخصومه ، أو حاول ذلك ، كما أنه وقف موقف الحياد بين المحدثين والقدماء في مسألة الأخطاء ؛ إذ يرى أن التقدم في الزمن لا يعصم من الخطأ ، ولا يوجب التماس الأعذار ، وانتحال المسوغات كما أن التأخر الزمني ليس ذنبًا يوجب أن تتقول على صاحبه الأقاويل ، وأن تتصيد له العثرات فقد يخطئ القديم ، ولا يمنعه قدمه من الخطأ ، كما قد يصيب المحدث ، ولا تحول حداثته بينه وبين الصواب.

لغة الفقه في نقده

القاضي الجرجاني قد اشتغل بالقضاء طول حياته ، فأشربت نفسه لغة الفقه التشريعي إلى درجة يمكن معها أن نقول أن أسلوبه النقدي قد تأثر بها ، " ولقد نراه يورد أمثال المتنبي مجموعة في عدة صفحات (ص ١٣٧: ١٤٣) ، ومن بينها ما يعجب به من غير تحفظ ، كما أن منها ما يسوقه حرصًا على الاستقصاء ما أمكنه ذلك ، ثم يقول: " وقد وفينا لك بما اقتضاه شرط الضمان وزدنا ، وبرأنا إليك بما يوجبه عقد الكفالة وأفضلنا ، ولم تكن بغيتنا استيفاء الاختيار واستقصاء الانتقاد ، فيقال هلا ذكرت هذا ؟ فهو خير مما ذكرت وكيف أغفلت ذلك وهو مقدم على ما أثبت ! وإنما دعوناك إلى المقاصة ،

(١) الوساطة ص ٢ ، ص ٣.

وسِمْنَاكَ [١] في ابتداء خطابنا [٢] المحاجة والمحاكمة ، فلزمنا طريقة العدل فيها ، والتقطنا من عروض الديوان أبياتا لم نذهب إن شاء الله في أكثرها عن جهة الإصابة ، فإن وقع في خلالها البيت والبيتان فلأن الكلام معقود به ، والمعنى لا يتم بدون ما يتقدمه ، وما يليه مفتقر إليه ، أو لغرض لا تعظم الفائدة بذكره ويضيق هذا القدر من الخطاب عن استقصاء شرحه ، أو لسهو عارض التمييز ، وغفلة لابست الاختيار ، وقد جعلنا لك أن تحذف منه ما أحببت ، وأبحنا لك أن تسقط ما أردت ، فإن الذي يفضل نقدك منه ، ويوافقنا رأيك عليه ، ينجز وعدك ويبلغ غايتك وبقى ما وقعت الموافقة عليه بيننا وبينك.

ثم طالع بقية شعره ، وتصفح فضالة ديوانه ، فتعلم أنا لم نقصد استيعاب عيوبه ، وأخذ صفوته ولبابه ، وأن فيما غادرنا منه لم نعرض له ، وما يمكن فيه محاكمتك ولا تضعف معه محاجتك ، ولعلك إذ رأيت هذا الجد في السعي والعنف في القول تقول: إنما وقفت موقف الحاكم المسدد ، وقد صرت خصمًا مجادلًا ، وشرعت شروع القاضي المتوسط ، ثم أراك حربًا منازعًا ، فإن خطر ذلك ببالك وحدثتك به نفسك فأشعرها الثقة بصدقي ، وقرر عندها إنصافي وعدلي ، واعلم أني رسول مبلغ وسامع مؤد ، وإني كما أناظرك أناظر عنك وكما أخاصمك أخاصم لك ، فإن رأيتني جاوزت لك موضع حجة فردني إليها ونبهني عليها ، فما أبرئ نفسي من الغفلة ولا أدعي السلامة من الخطأ ، والمدعي أشد اهتمامًا بما يحقق دعواه من المتوسط ، وعناية الخصم بشهوده أتم من عناية الحاكم " [٣].

---

(١) سمناك: كلفناك.

(٢) في ا " خطابك " وما أثبتناه عن ب.

(٣) الوساطة ص ١٧٧ ، ص١٧٨

والناظر في تلك الأقوال لا شك يحس بما في نغماتها من تواضع لم نألفه في لغة الأدباء ، وهي أشبه باللغة التي لم نعد نسمعها اليوم إلا من الرهبان الذين ينفقون حياتهم بالأديرة في خدمة العلم ، بل قل إنها لغة القضاة ، خير القضاة.

وهذا واضح لا في الروح فحسب ، بل وفي الأسلوب وطرق العبارة ، فهو قد (وفي بمقتضاه شرط الضمان وبرأ مما يوجبه عقد الكفالة) ، وهو يلزم (طريق العدل في المحاكمة) تلك كلها اصطلاحات قانونية وهو يعتبر نفسه موكلًا في الخصومة. .....ولم يقف تأثره بتلك الروح عند توجيه المنهج ، بل امتد إلى النقد التفصيلي.....الجرجاني إذن قاض عالم في روحه وأسلوبه ، وأهم من ذلك أنه قاض في منهجه النقدي ، وتلك مسألة لابد من تفصيلها لأنها تميزه عن غيره من النقاد المجيدين كالآمدي مثلًا. " [1]

(١) النقد المنهجي عند العرب ص ٢٥٣: ص ٢٥٦

المبحث الثاني

الأسس النقدية التي اعتمد عليها القاضي في نقده

لم أر القاضي في كتابه الوساطة منصفاً للفظ على المعنى ، ولا للمعنى ، على اللفظ ؛ فهو يراهما كالجسد والروح للكائن الحي فهما متلازمان لا ينفكان.

ومما يدل على اعتداله هذا تصريحه بوجوب امتزاج اللفظ بالمعنى حينما كان يتحدث عن الاستعارة إذ يقول: " وملاكها تقريب الشبه ، ومناسبة المستعار له للمستعار منه ، وامتزاج اللفظ بالمعنى ؛ حتى لا يوجد بينهما منافرة ، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر " (١)

فالقاضي الجرجاني يوجب امتزاج اللفظ بالمعنى بحيث يكون بينهما تآلف ، ولا يكون بينهما تنافر.

ومن هنا وجدنا عنده أسسًا لنقد للفظ ، وأخرى لنقد المعنى:

أولاً: الأسس التي اعتمد عليها في نقده للفظ: -

وتتمثل الأسس التي اعتمد عليها القاضي الجرجاني في نقده للفظ ، فيما يأتي:

١) الدقة:

دقة الألفاظ كانت من الأسس المهمة التي بنى عليها القاضي نقده ، إذ إنه يجب على الشاعر أن يختار أدق الكلمات في أداء المعنى الذي يجول بخاطره بحيث لا تقصر عن المعنى ، ولا تزيد عنه ولا تتجاوزه ، فلكل معنى من المعاني لفظ أدل عليه وألصق به من غيره ، ولهذا فالقاضي الجرجاني يعيب على الناقد الذي " لا يقابل بين الألفاظ ومعانيها ، ولا يَسْبُرُ ما بينهما من نسب ، ولا يَمْتَحِنُ ما يجتمعان

(١) الوساطة ص ٤١.

فيه من سبب ، ولا يرى اللفظ إلا ما أدى إليه المعنى ، ولا الكلام إلا ما صور له الغرض " [١].

كما أنه يعيب على الشاعر الذي لا يختار لمعانيه الكلمات الدقيقة التي تكون أدل على معانيها من غيرها ، وتكون أكثر مناسبة لها من نظيرتها ، ويعتبره ضعيف البصر بمواقع الكلام.

ومما عابه الجرجاني على المتنبي في هذا المجال قوله:

" وغَــرَّ الدُّمُسْــتُقَ قَــوْلُ الوُشــاَ ةِ إنَّ عليــاً ثَقِيــلٌ وَصِــبْ [٢] " [٣]

وعلق عليه بقوله: " فجعل الأمراء يوشى بهم ، وإنما الوشاية السعاية ونحوها ، ومن شأن الممدوح أن يفضل على عدوِّه ، ويجري العدوّ مجرى بعض أصحابه ؛ لا سيما إذا كان الممدوح مثل ابن حَمْدَان والعدوّ الدُّمُسْتُق ، وليس بسائغ في اللغة أن يقال:

وشى فلان بالسلطان إلى رعيته،ولو قيل ذلك في أميرين ؛ لكان قصر بالموشى به لا محالة ؛ وإنما المعروف الصحيح أن يُوشىَ بالأصغر إلى الأكبر"[٤].

(١) الوساطة ٤١٣.

(٢) الوصب: المرض ، وفي الديوان: قول العداة بدل: قول الوشاة ، وفسر البيت في التبيان بما يأتي: إنما جاءهم العدو ، لأن الأعداء أرجفوا بأنك علىل ، وأنك لا تطيق المجيء إليهم لثقل المرض.

(٣) الوساطة ص ٤٧٧.

(٤) الوساطة ص ٤٧٧.

٢) الشرف والضعة:

كان شرف اللفظ وضعته أو سقوطه من الأشياء التي كان يضعها القاضي نصب عينيه في أثناء حكمه على الشعر إذ كان يفضل اللفظ الشريف الذي كان يوحي أو يشعر بمعاني تقبلها، النفس ويرفض وينكر اللفظ الساقط الوضيع الذي يوحي بمعان لا تتقبلها النفس وينبو عنها الذوق ، فها هو يرفض بيت لأبي تمام لأن ألفاظه ساقطة غير شريفة. إذ يقول عن أبي تمام حينما كان يعرض له أبياتاً " ثم ينحط إلى الحضيض ويلصق بالتراب ، ويقول: . .....

لـــو كـــان كلَّفهـــا عُبيـــدٌ حاجَـــةً يومًـــا لزَنَّـــى شَـــدْقَمَا وجَـــدِيلًا [١]

وأظنه لو وجد لفظة أسقط من (زَنَّى) وأقل مناسبة للمعنى لاستعملها " [٢].

واعتقد أن تعليق القاضي على هذا البيت ؛ بهذا الشكل لا لشيء ؛ إلا لأن ألفاظه ساقطة وضيعة تشعر بما يؤذي النفس ولا تقبله.

كما عاب قوله:

" لـم يبـرح البـينُ المُشِـتُّ جَـوَانِحي حتـــى نـــروَّث مـــن دمٍ مســـموم " [٣]

وقد عاب الجرجاني هذا البيت لما يوحي به ويشعر لفظ (نروَّث) من القذارة الناتجة عن فضلات البهائم ، كما يشعر لفظ (المسموم) بقمة الإيذاء والفساد. وقد عاب قوله أيضًا:

" أأتـــرك حـــاجتي غَـــرَض التـــواني وأنت الدلوُ فيها والرِّشاءِ [٤] " [١]

---

(١) البيت في وصف المطايا ، وعبيد: هو عبد الراعي. قال شارح ديوان أبي تمام: شدقم وجديل: فحلان من الإبل كانا للنعمان بن منذر اللخمي ؛ يضرب بهما المثل.ورواية الديوان:(لأنسى).

(٢) الوساطة ص ٦٧.

(٣) السابق ص ٦٨.

(٤) الرشاء: الحبل.

وقد بين سبب رفضه لهذا البيت بقوله:

" فهو يجعل الممدوح تارة دلوًا ،. ... ، ومرة رشاء" [٢].

وقد كرها القاضي هاتين اللفظتين من أبي تمام ؛ لما تشعران به من الحقارة والبلادة والغباء.

إذاً كان شرف اللفظ من الأسس المهمة التي كان يعتبرها القاضي في نقده.

٣) سهولة اللفظ وثقله:

كانت سهولة اللفظ وثقله من الأسس التي اعتبرها القاضي في نقده للشعر ، إذ كان يميل إلى الألفاظ السهلة المطبوعة بالطابع الحضري التي يفهمها كل من سمعها سواء كان حضريًا أو بدويًا ، وكان يرفض الثقل ويمقته.

وثقل اللفظ قد يكون بسبب تنافر حروفه ، أو بسبب غرابته واستعماله عن أجلاف العرب ، ونجد هذا جليًا في قوله: " فلما ضرب الإسلام بجيرانه ، واتسعت ممالك العرب ، وكثُرت الحواضر ، ونزعت البوَادي إلى القرى ، وفشا التأدب والتظرّف اختار الناس من الكلام ألينه وأسهله ، وعمدوا إلى كل شيء ذي أسماء كثيرة اختاروا أحسنها سمعًا ، وألطفها من القلب مَوقِعا ؛ وإلى ما للعرب فيه لغات فاقتصروا على أسلسها وأشرفها ؛ كما رأيتهم يختصرون ألفاظ الطويل ؛ فإنهم وجدوا للعرب فيه نحوًا من ستين لفظة ؛..... فنبذوا جميع ذلك وتركوه واكتفوا بالطويل لخفته على اللسان ، وقلة نُبُوِّ السمع عنه " .[٣]

فالسهولة والثقل من الأسس النقدية التي بنا عليها نقده لشعر أبي تمام والبحتري. إذ نجده يعيب على أبي تمام إستخدامه لكثير من مفردات الأعراب في

(١) الوساطة ص ٦٩.

(٢) السابق نفسه.

(٣) الوساطة ص ١٨.

شعره ؛ والتي تجعل شعره ثقيلًا غير مفهوم في كثير من الأحيان ، ويحتاج إلى معاجم لتوضحه ، فكان يتحدث عن بعض ألفاظ لأبي تمام بالعجب والازدراء والسخرية ، ومن هذا قوله:

" فإن أظهر التعجرف ، وتشبه بالبدو ، ونسي أنه حضري متأدب وقروي متكلف جاءك بمثل قوله [١]:

قَد قلتُ لما اطْلَخَمَّ الأمْر وانبعثت عَشْواءُ تإليةٌ غُبْسًا دَهاريسا[٢]

..... وقوله [٣]:

مُقابَلٌ في دِري الأذواءِ مَنْصبُه عِيصًا فعِيصًا وقُدْمُوسًا فقُدْمُوسًا[٤] "[٥]

فقد رأى القاضي أن أبا تمام قد تعجرف ، وتشبه بالبدوي بسبب الثقل الذي يملأ أبياته الذي مثل بها ، والثقل في البيتين نشأ من شيءين أولهما الغرابة وهي التي تتجسد في البيت الأول " فلفظة (اطلخم) من الألفاظ المنكرة التي جمعت الوصفين القبيحين في أنها غريبة ، وأنها كريهة على الذوق ، كذلك لفظة (دهاريس). " [٦]

---

(١) ديوانه ١٨٧.

(٢) اطلخم: أظلم ، وعشواء: ضعيفة البصر ، والغبس: جمع غبساء وهي المظلمة ، والدهاريس: الدواهي.

(٣) ديوانه ص ١٧٢.

(٤) الذرى: الأعالي ، والأذواء هم ملوك إلىمن ، منهم ذو يزن وذو رعين. والمنصب: المرتبة. العيص: الأصل. والأعياص من قريش: أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر. والقدموس: الملك العظيم.

(٥) الوساطة ص ٧٢ ، ص ٧٣.

(٦) معاني التراكيب ج ١ ، ص ٣٢.

وثانيهما: تنافر الكلمات المصحوب بالغرابة ، كذلك في الكلمات (عِيصًا فعِيصًا) ،و (قُدْمُوسًا فقُدْمُوسًا).

وكما عاب على أبي تمام تشبهه بالأعراب في استعمال المفردات الثقيلة ، أثنى على البحتري إذ كان البحتري يميل إلى الألفاظ السهلة المألوفة التي يقبلها الذوق ويشترك في فهمها البدوي والحضري ، وكان القاضي يطرب لمعظم أبيات البحتري لنفس السبب إذ يقول:

" فإن قلت: هذا نسيب والنفس تهَشُّ له ، والقلب يعْلَق به ، والهوى يُسرع إليه ، فأنشد له في المديح قوله [1]:

بلوْنـــا ضـــرائب مَـــنْ قـــد نَـــرى فمـا إنْ وجـدنا لفَـتْحٍ[2] ضَـرِيبا " [3]

وقد أعجب القاضي بهذا البيت لسهولة ألفاظه إذ لا يوجد فيه لفظًا ثقيلًا على اللسان أو نابيًا عن السمع.

(١) ديوانه (١: ٥١).

(٢) هو الفتح بن خاقان وزير المتوكل ، كان أديبًا سامرًا فصيحًا ، اجتمعت له خزانة كتب حافلة ، وقتل مع المتوكل سنة ٢٤٧ هـ.

(٣) الوساطة ص ٢٧.

٤) طرافة اللفظ:

كان القاضي الجرجاني يعتبر طرافة اللفظ ، وابتذاله أساسًا من الأسس التي كان يبني عليها نقده للشعر ، إذ كان يهش ويطرب للفظة الطريفة ؛ لأن الكلمة الطريفة هي المحتفظة بحيويتها ولم تُمْتَهن بكثرة الاستعمال.

والقاضي الجرجاني ، وإن كان يدعو الشاعر إلى أن تكون كلماته سهلة غير غريبة ؛ فليس معنى ذلك أن تكون ألفاظه تتسم بالسوقية والابتذال ، فقد أشار إلى ذلك بقوله:

" ومتى سمعتني أختارُ للمحدث هذا الاختيار، وأبعثه على الطبع ، وأُحسِّن له التسهيل ؛ فلا تظنن أني أريد بالسمح السهل الضعيف الركيك ، ولا باللطيف الرشيق الخَنِثَ المؤنث ؛ بل أريد النَّمطَ الأوسط ؛ ما ارتفع عن الساقط السُّوقِيّ ، وانحط عن البدويّ الوحشيّ " (١)

ومن هذا نفهم أن القاضي الجرجاني كان يفضل الألفاظ السهلة المألوفة ، ويرفض الألفاظ السوقية المبتذلة وإن كانت سهلة.

ومن هنا يمكن القول بأن طرافة اللفظ كانت من الأسس المهمة التي بُنِي عليها نقد الجرجاني.

٥) التلاؤم بين اللفظ والمعنى:

كان القاضي يحمد للشاعر قدرته على إحداث التلاؤم بين اللفظ والمعنى في شعره وإذا رأى شاعرًا كذلك عده من الشعراء المفلقين المتميزين.

وقد أرسى هذه القاعدة بقوله:

---

(١) الوساطة ص ٢٣ ص ٢٤.

" بل أرى لك أن تُقَسِّم الألفاظ على رُتَب المعاني ، فلا يكون غزلك كافتخارك، ولا مديحك كوعيدك ، ولا هجاؤك كاستبطائك ؛ ولا هزلك بمنزلةِ جِدِّك، ولا تعريضُك مثل تصريحك ؛ بل ترتب كلاً مرتبتَه وتوفّيه حقّه " (١).

فالقاضي الجرجاني ينصح كل من كانت عنده ملكة الشعر بضرورة ملاءمة اللفظ للمعنى ، فلا يأتي بمعنى معين كالفخر مثلًا ، ثم يعبر عنه بألفاظ لا تليق به كالتضرع ، أو التوسل أو ألفاظ الهجاء مثلاً ، وهذا يظهر مذهب القاضي البلاغي (لكل مقامٍ مقال) ؛ وبهذا يتفق مع علماء البلاغة المتأخرين في مفهومهم للبلاغة.

ثانياً: الأسس التي اعتمد عليها في نقده للمعنى:-

وتتمثل الأسس التي اعتمد عليها القاضي في نقده المعنى ، فيما يأتي:

١) أساس الصحة والخطأ:

والمراد بمقياس الصحة والخطأ ؛ أن يكون المعنى صحيحًا لا خطأ فيه من حيث واقع الحياة ، أو التاريخ ، أو معنى اللغة ، والقاضي الجرجاني قد اتخذ من هذا الأساس مقياس للحكم على معانى الشعراء ، إذ نراه في وساطته قد حكم بالخطأ على بعض الشعراء في معانيهم

ونجد أخطاء الشعراء في الوساطة جاءت على النحو التالي: –

أ– أخطاء متداولة بين العلماء :

فمن الأخطاء المتداولة بين العلماء ، والتي ذكرها الجرجاني ؛ أنهم عدوها على الشعراء ما كان خطأ في الوصف ، وكان سبب الجهل بواقع الحياة ، " كقول امرئ القيس (٢):

وأَرْ كَـبُ فـي الـرَّوْعِ خَيْفَانـةً (١) كَسَـا وَجْهَهـا شـعرٌ مُنْتَشِـرْ (٢)

(١) الوساطة ص ٢٤.

(٢) ديوانه ص ١٢ ، واللسان ١٠: ٤٥١.

وهذا عيبٌ في الخيل.

وقول زُهير [٣]:

يَخْـرُجْن مـن شَـرَباتٍ ماؤُهـا طَحِـلٌ علـى الجـذوع يَخْفَـن الغـمّ والغرقَـا [٤]

والضفادع لا تخاف شيءاً من ذلك " [٥]

ب- الأخطاء التى خفيت على العلماء:

ومن الأخطاء التي رأى القاضي أنها خفيت على العلماء ؛ هي الأخطاء التي وضحها بقوله:

" فَدَعْ ما يخفي عليهم ويَبْعُد عن أبصارهم ، كقول أبي ذؤيب في الدُّرَّة [٦]:

فجـاءَ بهـا ماشـيءتَ مـن لَطَمِيـةً يـــدُور الفـــراتُ حولَهـــا ويَمـــوجُ

فالفرات هو العذب ، والدرُّ لا يوجد إلا في المِلْح.

وقول الآخر [١]:

---

(١) الخيفان من الجراد: المهازيل، وفرس خيفانة: تشبه الجراد في خفتها ، قال الأصمعى: وإذا غطت الناصية الوجه لم يكن الفرس كريمًا. ورواية اللسان:

* لها ذنب خلفها مسبطر *

(٢) رواية الديوان: " سعف ".

(٣) ديوانه ٤٠ ، اللسان (١٣: ٤٢٤) ، الموشح ص ٤٧

(٤) البيت في وصف الضفادع ، الشربات: جمع شربة ؛ وهي حوض صغير يتخذ حول أصل النخلة فيرويها ، والطحل: الكدر ، ويريد بالجذوع جذوع النخل ، وقال المرزباني: " والضفادع لا تخرج من الماء لخوفها من الغمر والغرق ، وإنما تطلب الشطوط لتبيض هناك وتفرخ ".

(٥) الوساطة ص ١٠ ، ص ١١.

(٦) اللسان ١٦: ١٧ ، وراويته:

فجاء بها ما شيءت من لطمية تدور البحار فوقها وتموج

واللطمية: هي الدرة.

فيــه الرمــاحُ وفيــه كــلُّ ســابغةٍ جَـدْلَاء مُحْكَمـةٍ مـن نَسْـجِ سَـلّامِ [٢]

.....وأشباهُ ذلك مما يكثر تعقبه ، ولم نذكر إلا اليسيرَ منه". [٣]

ج- الأخطاء التي أخذها العلماء على أبي الطيب المتنبي:

وأما الأخطاء التي أخذها العلماء على أبي الطيب ؛ فهي الانتقادات الموجهة إلى شعره ، فمن هذه الانتقادات ما كانت محقة ، ومنها ما كانت غير ذلك ، والقاضي قد تصدى لجميعها المحق منها ، والجائر بالرد ، والدفاع ، والأمثلة لذلك كثيرة ؛ إذ إن هذا محور معظم الكتاب.

وقد سلك القاضي الجرجاني مناهج متعددة في الدفاع عن أبي الطيب ؛ قد أشرت إليها آنفًا (الأشباه والنظائر – المقاصة – التماس الأعذار – إطالة الوقوف).

ومن الأقوال التي يظهر فيها تصدي القاضي للعلماء في حكمهم على المتنبي، قوله:

" فإن المعترضين عليه أحد رجلين: إما نحويٌّ لُغَوي لا بَصَرَ له بصناعة الشعر ؛ فهو يتعرض من انتقاد المعاني لما يدل على نقصه ، ويكشف عن استحكام جهله ؛ كما بلغني عن بعضهم أنه أنكر قوله [٤]:

تخـطُّ فيهـا العـوالي لـيس تَنْفُـذُها كــأنَّ كــلَّ سِــنانَنٍ فوقهــا قَلَــمُ [٥]

---

(١) هو الحطيئة ، والبيت ورد في اللسان _ مادة سلم بهذه الصورة ، وورد أيضًا فيه _ مادة جدل:
* فيه الجياد وفيه كل سابغة *

(٢) السابغة: الدرع الوسيعة. والدرع جدلاء: محكمة النسيج.

(٣) الوساطة ص ١٣ ، ص ١٤.

(٤) ديوانه (٤: ٢٥).

(٥) العوالى: الرماح ، يعنى إن الرماح تؤثر فيها ولا تنفذها ؛ حتى كأنها قلم في كاغد

فزعم أنـه أخطأ في وصف درع عدوِّه بالحصانة ، وأسنِة أصحابه بالكَلالَ .

ومن كان هذا قدرُ معرفته ، ونهاية علمه فمناظرتُه في تصحيح المعاني ، وإقامة الأغراض عَنَاءٌ لا يجدى ، وتعب لا ينفع. ..... أو معنوي مدقَّق لا عِلمَ له بالإعرَاب ، ولا اتساع له في اللغة ؛ فهو ينكر الشيء الظاهر ، ويتم الأمرَ البيِّن ، كفعل بعضهم في قوله [١]:

* لأنْتَ أسودُ في عَيني من الظُّلَمِ * "[٢]

٢) الطرافة والجدة:

والطرافة يقصدون بها أن يكون المعنى مستجادًا ؛ لأنه مبتكر من ناحية وغريب من ناحية أخرى وربما دخل في باب الطرفة تحسين القبيح ، وتقبيح الحسن [٣].

فالطرافة أساس من الأسس النقدية التي اعتمد عليها القاضي في وساطته ، وقد كان هذا الأساس متغير غير ثابت ؛ فمرة يستطرف بيتًا واحدًا من بين أبيات القصيدة ، ومرة يستطرف القصيدة كلها ، فمثال الأول (طرافة البيت الواحد) ، بيت لبشار وصفه القاضي بالملاحة ؛ إذ يقول " وقد مَلُح بشار في هذا المعنى بقوله [٤]:

وكـن جَـوارِي الحـيِّ مادُمْـتِ فـيهمُ قِباحًـا فلمـا غِبْتِ صِرن مِلاحًـا " [٥]

(١) ديوانه (٤: ٣٥). وصدرت البيت:

* أُبعد بعدت بياضًا لا بياض له *

(٢) الوساطة ص ٤٣٤ ، ص ٤٣٨ ، ص ٤٣٩.

(٣) ينظر أسس النقد الأدبي عند العرب للدكتور أحمد بدوي ص ٣٨٥.

(٤) التبيان (١: ٢٤).

(٥) الوساطة ص ٢٧٨.

ومن ذلك أيضا بيت لابن المعتز أورده القاضي ، حينما كان يورد أبياتًا شعرية لشعراء مختلفين في معنى معين ؛ وهو التلاقي بالفكر ، والروح ؛ وإن لم يلتقيا بالجسدين وكان متباعدين إذ قال "وهو معنى مشهور ، وهذا من مليح ما قيل فيه [١]:

إنَّـــا علـــى البَعـــاَد والتَّفَـــرُّقِ لَنَلْتَقِـي بالـذِّكْرِ إنْ لَـمْ نَلْتَـقِ [٢] " [٣]

ومثال الثاني (طرافة القصيدة بأكملها) ، ومن هذه القصائد قصيدة المتنبي في وصف الحِمَى إذ قال عنها " وهذه القصيدةُ كلُّها مختارةٌ ؛ لا يعلمُ لأحدٍ في معناها مثلُها. والأبياتُ التي وصف فيها الحِمَى أفراد ، قد اخترع أكثرَ معانيها ، وسهل في ألفاظها ؛ فجاءت مطبوعةً مصنوعة.

وهذا القسمُ من الشعر هو المطمع المُؤْيس. " [٤]

٣) الوفاء بالمعنى:

كان الوفاء بالمعنى أساس من الأسس التي اعتمد عليها القاضي في نقده والوفاء بالمعنى يتحقق عند الجرجاني عن طريق بعض الألوان البلاغية كالتتميم، والاعتراض والتقسيم فقد ذكر القاضي التقسيم على أنه لون من ألوان الوفاء بالمعنى ، كما ذكر لون آخر وهو جمع الأوصاف[٥].

واستحسان القاضي للوفاء بالمعنى ؛ قد يكون في البيت الواحد ، وقد يكون في القصيدة بأكملها فمن الأول قول المتنبي:

---

(١) التبيان (٢: ٢٩٤).

(٢) البيت لابن المعتز.

(٣) الوساطة ص ٣٢٥.

(٤) السابق ص ١٢١.

(٥) ينظر الوساطة من ص ٤٦ إلى ص ٤٨

" قَوَاصِـدَ كـافُورٍ تَـوَارِكَ غيـزِهِ ومَنْ قَصَد البحرَ اسْتَقَلَّ السَّواقياَ"[١]

وقد علق عليه بقوله " وهذا مصراع نادر ، مستوفي المعنى سائر المثل". [٢]

ومن الثاني قصيدة البحتري التي يصف فيها قتل الفتح بن خاقان والتي يقول فيها:

" غَداةَ لقيتَ اللَّيث والليثُ مُخْدِرٌ يحـدِّدُ نَابًـا لِلِّقـاء ومِخْلَبـا "[٣]

وقد علَّقَ عليه بقوله " فاستوفي المعنى ، وأجاد في الصفة ، ووصل إلى المراد " [٤].

إذًا الوفاء بالمعنى كان من الأسس النقدية عند القاضي الجرجاني.

(١) ديوانه (٤: ٢٨٧)
(٢) الوساطة ص ٢٥٢
(٣) ديوانه (١: ٥٦)
(٤) الوساطة ص ١٣٢

٤) التأثير في النفس:

كان القاضي الجرجاني يعتبر التأثير في النفس ، أو الأساس النفسي من الأسس المهمة ؛ لنقد الشعر أو الحكم عليه إذ كان يحكم على الشعر بمقدار ما يحدثه في النفس من أثر.

فالقاضي الجرجاني في وساطته كثيرًا ما يحيلنا إلى ما يحدثه الشعر في النفس من أثر ، وما يثيره من انفعال.

ومن أمثلة ذلك قوله حينما كان يعرض أبياتًا للبحتري ، والتي يقول فيها:

"أجِـدَّك مـا ينفعـكّ يسـري لزينبـا خيـــال إذا آب الظـــلام تَـــأوَّبا

سرى من أعالي الشام يجلبُه الكَرَى هبوب نسيم الروض تجلبه الصَّبا

إلخ. ..... " . (١)

وقد علق القاضي الجرجاني عليه بقوله: " تأمَّل كيف تجد نفسك عند إنشاده، وتَفَقَّدْ ما يتداخُلك من الارتياح ، ويستخفّك من الطرب إذا سمعته ، وتذكَّر صبْوَةً إن كانت لك تراها ممثَّلة لضميرك ، ومصوَّرة تلقاء ناظرك " [٢] ، وأمثلة ذلك كثيرة متناثرة في الوساطة .

ومن هذا نفهم أن القاضي الجرجاني كان يعتبر التأثير في النفس أساسًا من الأسس المهمة للحكم على الشعر ، فالشعر الذي يحوز قبوله وينال تأييده هو ذلك الذي يثير في النفس الارتياح ، ويبعث فيها الطرب ويظهر منها كوامن الشوق.

---

(١) الوساطة ص ٢٦.

(٢) السابق ص ٢٧.

٥) الشرف والضعة:

الشرف والضعة من الأسس النقدية المهمة التي اعتبرها القاضي في الحكم على المعنى فنراه يقول:"وكانت العرب تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن ؛ بشرف المعنى وصحّته وجزالةِ اللفظ واستقامته " (١) .

والقاضي الجرجاني يرى أن شرف المعنى يمكن أن يغفر للشاعر سوء الترتيب والإخلال بالنظم ، ويتبين ذلك من قوله عن المتنبي:

" كيف يُحتمل له اللفظُ المعقّد ، والترتيب المتعسف لغير معنى بديع يفي شرفه وغرابته بالتعب في استخراجه ، وتقوم فائدة الانتفاع بإزاء التأذي باستماعه (٢)"

أما لو كان اللفظ ساقطًا ، والمعنى وضيعًا ساقطًا مثل اللفظ ، وليس فيه من الشرف شيء ؛ فلا يغفر للشاعر شيءٌ من عيوبه ؛ ولا يقبل أصلاً ، ومن ذلك ما رآه في شعر أبي نواس في قصيدة يقول فيها:

" قد غَنِينا عن الشِّتا وعن اللّبْس لِلْفرا

وعن الحشو للعِمامة والكنِّ والصِّلاَ

إلخ. ..... " .

ويعلق عليها بقوله: " وهو كما تراه في سُخف اللفظ ، وسوء النظم ، وسقط المعنى " (٣).

فالقاضي الجرجاني يرفض قول أبي نواس كله لفظًا ومعنى ؛ لأنه يرى أن اللفظ والمعنى ساقطان وضيعان والنظم في الأبيات سيء.

---

(١) الوساطة ص ٣٣.

(٢) السابق ص ٩٨.

(٣) السابق ص ٥٩.

٦) البعد عن الإحالة:

والمراد بالإحالة: أن يثبت الشاعر معنى يستحيل وقوعه.

وكان البعد عن الإحالة من أسباب تفضيل القاضي لشاعرٍعلى آخر إذ إنه كان لا يستسيغ الإحالة ، ولو كان المقصود بها المبالغة ، وبلوغ الغاية.

فوضح القاضي في وساطته أن الإحالة ناتجة عن الإفراط في الوصف أو المدح ، أو الذم أو غيرها من أغراض الشعر ، وقد سبق قوله: " فأما الإفراط فمذهب عام في المُحْدَثين ، وموجود كثير في الأوائل ، والناس فيه مختلفون ، فمستحسِن قابل ، ومستقبِح رادّ: وله رسوم متى وقف الشاعرُ عندَها ، ولم يتجاوز الوصفُ حدّها جمع بين القَصد والاستِقاء ، وسلم من النقص والاعتداء ، فإذا تجاوزها اتسعت له الغاية ، وأدته الحال إلى الإحالة ، وإنما الإحالة نتيجة الإفراط ، وشُعْبَةٌ من الإغراق " (١).

ولهذا استقبح قول المتنبي:

" وضاقت الأرْض حتى كان هاربُهم إذا رأى غير شيء ظَنَّهُ رَجُلًا (٢) "

إذ علق عليه بقوله: " فلم يكترث بالإحالة ، ولم يستقبح أن جَعل غير شيء مرئيًا لما استوفي عند نفسه الغاية ، ولم يبق وراءها مَرْمى الشاعر" (٣).

ولنفس السبب عدى بيت لأبي نواس من المحال الفاسد ، والذي يقول فيه:

" وأخَفْتَ أهلَ الشِّرْكِ حتى إنَّهُ لتخافُكَ النُّطَفُ الَّتي لم تُخْلَق "

---

(١) الوساطة ص ٤٢٠.

(٢) قال الخوارزمي رأي في هذا البيت ليست من رؤية العين ؛ وإنما هى من رؤية القلب يريد به التوهم ، وغير الشيء يجوز أن يتوهم.

(٣) السابق نفسه.

وقد علق عليه بقوله: " فهو من المحال الفاسد ، وله باب غير هذا ، وكل هذا عند أهل العلم مَعيب مَردود ، ومنفي مرذول ، وإن كان أهل الإغراب وأصحاب البديع من المحدثين قد لَهِجوا به واسْتَحْسَنوه ، وتنافسوا فيه ؛ وبارَى بعضُهم بعضًا به " (١).

٧) وضوح المعنى وغموضه:

حينما كان القاضي الجرجاني يتعرض لنقد الشعر كان يجعل من الوضوح والغموض أساسًا لنقده ، فالقاضي الجرجاني يحمد للشاعر وضوح معانيه حيث يتوصل إلى مراده بأحسن مايتوصل به ، عن ذات نفسه بألطف العبارات ، ومن الأبيات التى نالت إعجابه ، فامتدحها لوضوح معناها ، قول أبي تمام: " ليس يَدري إلا اللطيفُ الخبيرُ أيّ شيءٍ تُطْوى عليه الصُّدُورُ " (٢) ولكنه يعيب على الشاعر غموض معانيه ، بل إنه ليعتبر أن أعيب ما أخذ على أبي الطيب المتنبي ما كان"عيبه من باب التعقيد والعَويص(٣)،واستهلاك المعنى،وغُمُوض المراد"(٤) وإذا ما تصفحنا وساطته ؛ فإننا نجد لغموض المعنى عنده أسباب أربعة:

١- الخروج على قواعد النحو المشهورة.

٢- الاستعارات البعيدة.

٣- الإفراط في المحسنات البديعية.

٤- عدم استخدام الكلمات في معناها الدقيق.

والأمثلة لهذه الأشياء قد مر ذكرها في مواضعها.

---

(١) الوساطة ص٤٢٠.

(٢) السابق ص ٧٥.

(٣) العويص من الشعر: ما يصعب استخراج معناه.

(٤) الوساطة ص ٤١٥.

المبحث الثالث

الآراء النقدية للقاضي الجرجاني في وساطته

رأي القاضي الجرجاني في الشعر الحقيقي

يرى القاضي أن الشعر الحقيقي هو: ما يترك في سامعه أثاره المرجوة ، فإن كان ممدوحًا حَوَّل أريحته ، فجاد بما له ، وإن كان مشتاقًا وجد فيه صديً للوعته فاهتز شوقًا ، وإن كان غاضبًا أزال غضبه وحرك في نفسه بواعث الحلم والتسامح ، ثم هو الذي تأتي ألفاظه سهلة غير مستكرهة وتجيء قوافيه طائعة مختارة ، أما أولئك الذين يجرون وراء القافية ؛ ليعقدواعليها نظمً اولا يهمهم المعنى أكان صحيحًا ،أم فاسدًا ، شريفًا ،أم وضيعًا ، وأولئك الذين يختارون ضعيف القول ؛ لينظموا منه شيئًا ، فلا يعتبر قولهم هذا شعر يعتد به.

*ومن الآراء النقدية للقاضي:

أ – المقومات الشخصية للأديب:

يرى القاضي الجرجاني أن من أول المقومات الشخصية التي يجب أن تتوفر في الأديب (الطبع – الذكاء – الرواية – الدُّرْبَة) ، وقد أشار إلى هذا بقوله: " إن الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع ، والرواية ، والذكاء ، ثم تكون الدُّرْبَة مادة له وقوة لكل واحد من أسبابه " (١).

ب- اللغة الأدبية:

فالقاضي الجرجاني يرى أن لغة الأديب لابد أن تكون نابعة من بيئته وعصره ، ويدعو إلى:

(١) الوساطة ص ١٥.

" تعليل التطور اللغوي ، ويثني على المحدثين بتجاوبهم مع بيئتهم ، وتمثيلهم لحضارتهم ، فقد كانت العرب تخص الشعر بفضل تهذيب ، وتفرده بزيادة عناية ، وقد كانت طبيعتها لبداوتها خشنة ، فمن شأن البداوة أن تحدث بعض ذلك ، ولهذا جاء شعرهم فخمًا جزلًا وقويًا متينًا.

لكن الإسلام قد انتشر واتسعت المماليك ، وكثرت المدن ، وتحضر البدو ؛ فاختاروا من الكلام ألينه وأسهله ، وترققوا في شعرهم ما أمكن ، وكسوا معانيهم ألطف ما سنح من الألفاظ ؛ فصارت إذا قيست بذلك الكلام الأول يتبين فيها اللين فيظن ضعفا ، فإذا أفرد عاد ذلك اللين صفاء ورونقًا ، وصار ما تخيلته ضعفًا رشاقة ولطفًا.

لكن القاضي الجرجاني يحتاط لنفسه ، وهو يشجع المحدثين على السهولة واللين ، فيقول:

" ومتى سمعتني أختار للمحدث هذا الاختيار وأبعثه على التطبع وأحسن له التسهيل ، فلا تظنن أني أريد بالمسمح السهل الضعيف الركيك ، ولا باللطيف الرشيق الخنث المؤنث بل أريد النمط الأوسط ما ارتفع عن الساقط السوقي ، وانحط عن البدوي الوحشي ". (١)

فهو يرى أن اللغة الأدبية هي التي تسهل عن البدوية الوحشية ، وترتفع عن الساقطة السوقية أى أنها شيء بين بين ، فهي ليست بالكزة الغليظة ، ولا الضعيفة الركيكة ". (٢)

(١) الوساطة ص ٢٣ ، ص٢٤.

(٢) القاضي الجرجاني والنقد الأدبي ص ٢٨٧ ، ص ٢٨٨.

ج – وحدة القصيدة في الشعر العربي:

من المعروف أن القصيدة العربية تفتقد إلى الوحدة الموضوعية ؛ إذ لا نرى قصيدة كتبت في موضوع واحد ، واتحدت أبياتها لإخراج معنىً معين ، ومع هذا فإن القاضي الجرجاني يرى أنه يجب على الشاعر أن يجتهد في تحقيق الوحدة الموضوعية للقصيدة ؛ إذ إن هذه الطريقة هي التي تجذب الاستماع إلى القصيدة والانسجام بها يقول القاضي:

" والشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال ، والتخلص ، وبعدهما الخاتمة ، فإنها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور ، وتستميلهم إلى الإصغاء " (١)

د– الدين والخُلُق ليس أساسًا في النقد:

القاضي الجرجاني لا يعتبر الدين والخلق من الأسس النقدية ؛ فليس فساد الدين وسوء العقيدة سببًا في رداءة الشعر أو انحطاطه.

وليس صلاح الدين أو حُسن العقيدة سببًا في جودته وارتفاعه ؛ إذ " لو كانت الديانة عاراً على الشعر ، وكان سوء الاعتقاد سببًا لتأخر الشاعر ، لوجب أن يُمْحَى اسم أبي نواس من الدواوين ، ويحذف ذكره إذا عُدَت الطبقات ، ولَكان أولاهم بذلك أهلُ الجاهلية ، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر ، ولوجب أن يكون كعب ابن زهير وابن الزَّبَعرى وأضرابهما ممن تناول رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وعاب من أصحابه بُكمًا خرسًا ، وبكاء(٢) **مفحمين ؛ ولكنَّ الأمرين متباينان ، والدين بمعزل عن الشعر "** (٣)

---

(١) الوساطة ص ٤٧.

(٢) البكاء: جمع بكيء ، وهو من قل كلامه خلقة.

(٣) الوساطة ص ٦٤.

هـ – الغلو ليس سببًا في رفض البيت الشعري:

فالقاضي الجرجاني يقر " الشاعر على غلوه ؛ إذا جمع بين القصد والاستيفاء ، وسلم من النقص والاعتداء أما إذا بالغ حتى أدته الحال إلى الاحالة؛ فإنه لا يقره.

أي أن الغلو عنده نوعان: غلو حسن ، وغلو قبيح ، وهو نفس مذهب قدامة فهما متفقان في الرأي ، وإن كان أهل العلم يرون أن الغلو بنوعيه معيب مردود ومرذول منفي " [١].

وقد ذكر القاضي في وساطته أمثلة كثيرة ، ومنها قول عنترة:

وأنا المنيَّةُ في المواطن كُلِّها والطَّعْن مني سابقُ الآجال [٢]

" وأمثال هذا مما لو قصدنا جمعه لم يعوز الاستكثار منه وجد مَن بَعْدَهُم سبيلًا مسلوكًا ، وطريقًا مُوَطّئا ، فقصدوا ،وجاروا ، واقتصدوا ، وأسرفوا ، وطلب المتأخر الزيادة ، واشتاق إلى الفضل فتجاوز غاية الأول ، ولم يقف عند حد المتقدم ، فاجْتَذَبَهُ الإفراط إلى النقص ، وعَدَل به الإسراف نحو الذم " [٣].

توافق كثير من آراء القاضي الجرجاني مع نقاد الأدب في الغرب

لقد عقد الدكتور عبده قلقيلة في كتابه [٤] فصلًا أسماه بـ: القاضي الجرجاني في ميزان النقد الغربي توافق كثير من آرائه مع آراء نقاد الأدب في الغرب .

وقد قرر من خلال هذا الفصل أن القاضي الجرجاني قد اتفق في كثير من آرائه مع النقاد الغرب ، وسأذكر من هذا نماذج يتضح من خلالها ذلك التوافق:

---

(١) القاضي الجرجاني والنقد الأدبي ص ٣٢٢

(٢) الوساطة ص ٤٢١.

(٣) السابق ص ٤٢٣.

(٤) القاضي الجرجاني والنقد الأدبي.

١) الحياد في النقد:

كان القاضي محايدًا في نقده ؛ إذ لم يكن أثناء نقده يتحيز لشاعر دون آخر، كما أنه كان يدعو الآخرين إلى الحياد في النقد ، وطبقه عملياً في الوساطة.

وقد اتفق في مذهبه هذا مع بعض النقاد الغربين ، ومن هؤلاء: ماتيوأرنولد إذ يقول عن الحياد في النقد: " يجب أن يكون الناقد قادراً على أن يرى الشيء كما هو في الحقيقة ، ولا يزيغ في ضباب من ميوله الخاصة ، وأفكاره السابقة.

ومعنى ذلك أنه يجب أن يكون خاليًا تمامًا ومتجردًا عن كل ميل من أى نوع: ميل الأذواق الفردية ، وميل الثقافة ، وميل العقيدة ، وميل الطائفة والحزب والطبقة والأمة. (١)

والناقد الحديث رتشارد " ب " بلاكمور يرى: أن الناقد يجب أن يتناول الأدب من حيث هو أدب ، لا من حيث أنه يتمثل أي شيء آخر. (٢)

والناقد الجيد عنده هو الذي يجنب نقده ، أن يكون متحيزاً أو نابعاً من غرائزه. (٣)

٢) التأثرية:

قد ألمح قدامة إلى مذهب التأثرية في النقد ، وجاء القاضي الجرجاني على أثره فاعتنق هذا المذهب وتحمس له ، فهو يطلب من الأديب أن يمتاح من قلبه ، وأن يصدر عن نفسه ، وأن يسترسل للطبع ، ويرى البحتري كذلك فيختار له أربع

---

(١) النقد الأدبي لأحمد أمين ج ١ ، ص ١٩٤. نقلاً عن القاضي الجرجاني والنقد الأدبي.

(٢) النقد الأدبي ومدارسه الحديثة لستانلي هايمن ج ٢ ، ص ٢٠. نقلاً عن القاضي الجرجاني والنقد الأدبي.

(٣) السابق ص ٤٦.

مقطوعات يعرضها علينا معجبًا بها ومعقبًا عليها بقوله: " انظر هل تجد معنى مبتذلًا ولفظًا مشتهرًا ؟ وهل ترى صنعة وإبداعًا أو تدقيقًا وإغرابًا ؟ ثم تأمل كيف تجد نفسك عند إنشاده ،وتفقد ما يتداخلك من الارتياح ، ويستخفك من الطرب إذا سمعته ، وتذكر صبوة إن كانت لك تراها ممثلة لضميرك ، ومصورة تلقاء ناظرك" (١)

واعتناق القاضي لهذا المذهب مبني على تأثر النفس وانفعالها بما يبقى فيها من أثر القراءة والدرس ، أي أن مرجعه الميول النفسية والتأثر الشخصي البحت. (٢)

وقد توارد القاضي الجرجاني في هذا المذهب مع أرسطو (٣٧٤ – ٣٢٢ ق. م) ، ولنجينوس ، (في القرن الثالث الميلادي).

فقد عالج أرسطو طبيعة التراجيديا والكوميديا على أساس ما تثير كل منهما في نفوس الجمهور من أحوال وانفعالات.

أما لنجينوس ، فقد فرق بين الحق والباطل من الأساليب على أساس أن الأول يحدث تأثيره على القراء الأذكياء المجربين في مختلف الظروف لا مرة واحدة ولكن مرارًا.

" فإن نفوسنا بطبيعتها تهتز للرائع الحق ، وتفيض بالغبطة والابتهاج ، كأنها هي التي أبدعت ما تسمع " (٣). (٤)

٣) موقفه من القدماء والمحدثين:

(١) الوساطة ص ٢٦.

(٢) ينظر القاضي الجرجاني والنقد الأدبي ص ٢٨٩ ، ص ٢٩٠.

(٣) من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده لمحمد أحمد خلف الله ص ٩٣.

(٤) ينظر القاضي الجرجاني والنقد الأدبي ص ٤٥٢ ، ص ٤٥٣.

موقف القاضي الجرجاني من القدماء والمحدثين موقف واضح ؛ فهو قد أنصف المحدثين ؛ وخلصهم من ظلم النحاة واللغويين وقرر أن لهم إنتاجهم الذي لايقل جودة ولا روعة عن شعر من سبقهم ، ثم هو لم يرض لهم تقليد القدماء " فإن رام أحدهم الإغراب والاقتداء بمن مضى من القدماء لم يتمكن من بعض ما يرومه إلا بأشد تكلف ، وأتم تصنع ومع التكلف المقت ، وللنفس عن التصنع نفرة. " (١)

وقد توارد معه في هذا الناقد الفرنسي " تارد " بقوله: " إن القديم يقدر ويعجب به ، ولكنه لا يقلد "(٢). (٣)

تلك هي أمثلة من النماذج التي عرضها الدكتور قلقيلة ، وآراه محقاً في ما وصل إليه إلا أني لو عرضتها جميعاً لناءت أوراق البحث بها.

ومن هنا نرى أن للقاضي فضلاً لا يمكن تجاهله ودورًا في النقد لا يمكن تغافله " فبحسب القاضي الجرجاني ، وهو العربي ابن القرن الرابع الهجري أن يكون قد التقى في تفكيره النقدي بتفكير أعلام النقد في الغرب.

بحسبه أنه الناقد العربي الذي يستطيع أن يصافح أي ناقد أوربي على الطريق الطويل لنقد دون أن يحس مركب النقص.

ومن فضله أنه لو كان معاصرًا لدعته رابطة النقاد الفرنسيين إلى المؤتمر الدولي للنقد الأدبي في باريس ، ولكانت آراؤه التي ضمنها كتاب " الوساطة " أحسن تعريف به وأفضل تزكية له. (١)

---

(١) الوساطة ص ١٩

(٢) تيارات أدبية بين الشرق والغرب للدكتور إبراهيم سلامة ص ٢٤٣. نقلًا عن القاضي الجرجاني والنقد الأدبي.

(٣) ينظر القاضي الجرجاني والنقد الأدبي ص ٤٥٦.

آراء النقاد المحدثين في القاضي الجرجاني

١- رأي الدكتور محمد مندور:

للدكتور محمد مندور رأي في القاضي الجرجاني بليغًا وناقدًا:

أولاً: رأيه فيه بليغاً:

يقول الدكتور مندور عن الجرجاني: " وجدنا في بعض أقواله ما نعتبره تمهيدًا للروح البلاغية روح القواعد والتعاليم التي ستظهر في (الصناعتين).

بل إن الجرجاني أقرب النقاد إلى الروح العربية وعلم اللغة العربية ، ونحن بعد لا نظن أنه كان ذا صلة قوية بالفلسفة اليونانية كما كان الآمدي الذي رأيناه في بعض صفحات (موازنته) يلخص نظريات اليونان والهند في البلاغة. "[٢]

ويقول في موضع آخر: " ونحن وإن كنا لا نقول بأنه كان يمقت البديع إلا أننا لا تظننا نعدو الحق إذا جزمنا بأن الجرجاني لم يكن يعجب بأوجه البديع إلا إعجبًا عقليًا ، وذلك طبعاً عندما يكون في تلك الأوجه ما يمكن الإعجاب به على نحو ما " [٣]

(١) ينظر القاضي الجرجاني والنقد الأدبي ص ٤٦٤.

(٢) النقد المنهجي عند العرب ص ٢٧١.

(٣) السابق نفسه ص ٢٦٦.

ثانياً: رأيه فيه ناقداً:

يقول الدكتور محمد مندور عن الجرجاني ناقدًا: –

" الجرجاني. . قاضٍ عالم في روحه وأسلوبه ، وأهم من ذلك أنه قاضٍ في منهجه النقدي ..... و.. يفسح المجال لكل ذوق ، ويحاول مخلصًا أن يوضح ما في بعض الشعر المصنوع من جودة ، وذلك طبعًا دون أن يتخلى عن ذوقه الخالص وعما يفضله من شعر . ..... الجرجاني عربي الذوق خالصه ، وإنك لتقرأ كتابه فلا تكاد تحس أثر الفلسفة في كل ما قال ، وهو رجل سليم الفطرة ، سديد النظر ، بصير بأسرار الشعر ، وثمة في كتابه صفحات تكاد تعدل تلك التي صدرنا بها للكلام على الآمدي كتبها تمهيدًا للفصل الأخير من (وساطته) ، وجعلها وسيلة لمناقشة (ما عيب على أبي الطيب من معانيه وألفاظه) ، ولعل ذلك الفصل من خير ما في الكتاب " (١).

ونفهم من هذه الأقوال أن الدكتور مندور كان معجبًا بشخصية القاضي البلاغية والنقدية على حد سواء.

لكنني وجدت له قولًا نشعر منه أنه يعيب عليه منهجه ، إذ يقول:

" مع صدق أحكامه قد مهد السبيل إلى تحول النقد إلى بلاغة ؛ وذلك لأنه لم يعتمد على النقد الموضوعي قدر اعتماده على المباديء العامة التي حاول أن يستخلصها ، أو أن ينميها إن كان قد سبق إليها ، ثم إن الروح التعليمية قد أخذت تظهر في كتابه " (٢).

---

(١) النقد المنهجي عند العرب ص ٢٥٦ ، ص ٢٦٥ ، ص ٢٧١

(٢) النقد المنهجي عند العرب ص ٢٦٦.

فالدكتور يرى أن القاضي قد مهد لتحويل النقد إلى بلاغة ، وأنه لم يعتمد على النقد الموضوعي ؛ بل اعتمد على مبادئ معينة ظل يوضحها في وساطته ، كما عاب عليه انتشار الروح التعليمية في مؤلفه.

٢- رأي الدكتور أحمد بدوي:

يقول الدكتور أحمد بدوي في القاضي الجرجاني " للقاضي الجرجاني مكانة عالية في النقد الأدبي ، وإنه يستمد هذه المكانة من أمور كثيرة ، منها:

دعوته الحارة إلى العدالة في النقد ، وعدم اتباع الهوى ، وهو بذلك يدعو إلى نقد مؤسس على الشعور الصادق ، لا على التقليد والتحامل. ..... وهو ناقد موضوعيّ ، يحدد موضوع النزاع ؛ ليناقشه ويخرج منه بنتيجة مقبولة.

فإذا أضفنا إلى ذلك كله الجهود التي بذلها في بيان ما للمتنبي من حسنات وسيئات ، وما ضربه من الأمثلة لجيد شعره ورديئه ، وما قام به من دراسات لشعراء ساقه إليها دراسته للمتنبي أدركنا قيمة الرجل بين نقاد العرب.

وإذا أضفنا - أيضًا - عمق نظرته ، ومقدرته على التحليل ، والتعليل وتبيين ما في الشعر من مظاهر الانحراف ، وتوضيح ذلك وتصويره ، فهمنا قيمته في النقد الأدبي.

ولكننا نأخذ عليه أنه لم يحدد في وضوح مكان أبي الطيب بين الشعراء ، وعندما " قسم شعره فجعله في الصدر الأول تابعًا لأبي تمام ، وفيما بعده واسطة بينه وبين مسلم " [١]. ..... لم يزدنا علمًا بمكان أبي الطيب ، ولكنه شككنا في موضعه الحقيقي ، أين يكون " [٢].

٣- رأي الدكتور عبده قلقيلة:

(١) الوساطة ص ٤٩.

(٢) القاضي الجرجاني من ص ٩٠ إلى ص ٩٣.

يتضمن رأي الدكتور عبده قلقيلة في القاضي الجرجاني عيوبًا رآها في وساطته ومحامد.

أولًا العيوب التي رآها:

يقول الدكتور: – " ومن قبيل النقد لمنهج الجرجاني في الوساطة إبداء مثل هذه الملاحظات عليه ، وهى:

١) ميله إلى أبي الطيب ، وانتصاره له:

فبالرغم من أنه يحاول أن يظهر نفسه بمظهر المحايد الذي يقصر عمله على تبليغ وجهة نظر الخصوم إلى الأنصار ، وبالعكس دون زيادة أو نقص. ..... فإننا نقرر أنه لم يكن كذلك ، وهو ينقد أو وهو يتوسط ؛ فقد كان هواه مع المتنبي ، وميله إليه في كل ما قاله عنه.

ويبدو ذلك في الأمور الآتية:

أ– تفضيله له على أبي نواس وابن الرومي [١].

ب– عدم إطالته ، وهو يستعرض ما أخذ على شعره من اللحن والإحالة في المعنى والخطأ في الوزن ، وضعف العقيدة ، وفساد المذهب في الديانة [٢] ، كما لم يطل وهو يستعرض المستكره من تخلصه والمعيب من ابتداءاته [٣].

ج – عطفه عليه فيما عابوه به ، وتمنيه أن لو كان تحاشاه ، ثم اعتذاره عنه بأن الشعر قد يأتي بعيدًا عن الكمال. .....

(١) الوساطة ص ٥٢.

(٢) السابق ص ٥٩ ، ص ٦٠.

(٣) السابق ص ١٥٠ – ١٥٤

٢) وإننا لنأخذ عليه ما سبق أن أشرنا إليه من أنه عنى بالدلالة على جيد الشعر ، ورديئه أكثر مما عنى ببيان وجوه هذه الجودة أو هذه الرداءة ، وإن فعل اقتصر على صفات عامة موجزة ، لا تشرح جودة ولا توضح رداءة ، وكثيرًا ما أورد قطعًا مختارة من شعر جرير ، والبحتري ، وأبي نواس ، وأبي تمام ، وغيرهم ؛ دون أن يبين وجهًا من وجوه جودتها ، أو يشير إلى ناحية من نواحي جمالها . .....

٣) ومع أن الجرجاني قد أدعم الصلة بين الشعر والشاعر نظريًا ؛ إلا أنه لم يضع ذلك موضع التطبيق العملي في دراسته للمتنبي ، فهو لم يشير ولو مرة واحدة إلى تأثر شعر المتنبي بطبيعته ، بل لم يربط بين ثقافته وبين أية ظاهرة فنية في شعره " [١].

ثانياً: محامد القاضي في رأيه:

يقول الدكتور قلقيلة: " على أن من منهجه ما يحمد عليه ويحسب في فضله ، من تحقيق النص والتأكد من أنه لصاحبه ، كما فعل في الأبيات المنسوبة للأُقَيشِر:-

فهو قبل أن يوردها يشكك في نسبتها إليه بقوله: - " ومثل قول الأُقَيشِر إن كانت له " ، وبعد إيرادها يعلق عليها بقوله: - " وأنا أرتاب بأبيات الأقُيشِر ، فإنها لا تشبه شعره ولم أرها في ديوانه " [٢].

ومما نحمده له كذلك تواضعه الجم ، وعدم تبجحه بالعلم ، ووضعه كل ما يأتي به من حقائق في منطقة الظل.

(١) القاضي الجرجاني والنقد الأدبي ص ٢٤٥ ، ص ٢٤٧.

(٢) الوساطة ص ١٩١ ، ١٩٢ وانظر ص ١٥٤.

وإننا لنلحظ بكل تقدير وإعجاب اقتصاده البالغ في إصدار الأحكام ، واتزانه الرائع في تقدير الأمور ، وإدراكه السليم لطبيعة العمل في الأدب والنقد. .....إن هذا المنهج في دراسة الشعر ونقده ، والحكم بأخذه قد وضعه القاضي الجرجاني منذ ألف سنة ومن العجب أنه هو السائد الآن ، وما عداه لغو من القول أو ضرب من الغرور " [1].

(١) القاضي الجرجاني والنقد الأدبي ص ٢٤٧ ، ص ٢٤٨.

الخـاتمـة

الحمد لله الذى أنزل القرآن تبيانًا لكل شيء ؛ فكان معجزة خالدة على مر الأزمان ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد ، وبعد: –

فقد عايشت ذلك المؤلف العظيم ، والذي تتقاصر الجهود عن أن تأتي بمثله، وقد رأيت ما بذله القاضي من جهد ، واستخرجت ما فيه من فكر بلاغي ونقدي بقدر ما استطعت ، تعايشت معه ليالي وأيامًا ، وشهورًا طولًا ، وبذلت جهدًا ليس باليسير، وانتهيت من إعداده بعد فترة ليست بالقصيرة اطلعت فيها على عديد من كتب البلاغة ، والأدب والنقد ، واللغة قديمها وحديثها ، وقد توصلت إلى **النتائج الآتية**: -

١) أن القاضي الجرجاني كانت له لمحات قوية ، وإشارات واضحة إلى مسائل علم البلاغة فبالنسبة إلى علم المعاني ، فقد وجدت له إلماحات إلى : (بعض العيوب التي تخل بفصاحة الكلمة والكلام – البلاغة – القلب – الوصل والفصل – الإيجاز – والإطناب).

وبالنسبة لعلم البيان ، فقد وجدت له إشارات إلى: (التشبيه – الاستعارة – بأنواعها).

وبالنسبة لعلم البديع ،فقد وجدت له كلام واضح وصريح إلى أقسامه : (الطباق – المقابلة – التقسيم – جمع الأوصاف – الجناس – التقفية – الترصيع – الابتداءات – التخلصات – الخواتم).

٢) أن القاضي الجرجاني كان له منهجاً نقدياً يستحق الوقوف عنده.

٣) أن القاضي الجرجاني كانت له أسس نقدية مهمة اعتمد عليها في نقده للفظ والمعنى.

٤) أن القاضي الجرجاني كانت له آراء نقدية كشفت عن شخصيته الناقدة.

٥) أن القاضي الجرجاني قد اتفقت بعض آرائه مع آراء النقد الغربي وآراء النقاد المحدثين وأن آراءه تُعد المنبع أو البذرة لمعظم الآراء النقدية الحديثة.

٦) أن القاضي الجرجاني بالرغم من عظمة عمله كان له مُحْمِدِين ومعيبين.

فهذا جهد المقل ، وقد بذلت فيه ما أمرني الله به من طاقة ورزقني من فهم، فإن كنت قد وفقت فبفضل من الله ومنه ، وإن كانت الأخرى فحسبي جزاء المجتهد ، وأني بذلت ما في وسعي

والله أسأل أن يتجاوز عما فيه من تقصير ونقص ، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم ، وأن ينتفع به طلاب العلم والدارسين.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ، وصلى الله وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المراجع

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	التحقيق	الطبعة
١	أسرار البلاغة	عبدالقاهر الجرجاني	محمود شاكر	المدني القاهرة ودار المدني بجدة
٢	أسس النقد الأدبي عند العرب	د/ أحمد بدوي		
٣	الإيضاح	الخطيب القزويني	عبدالقادر حسين	ط مكتبة الآداب ،ت/ط ١٩٩٦م
٤	البداية والنهاية	ابن كثير		
٥	البرهان في علوم القرآن	للإمام بدر الدين محمد ابن عبد الله الزركشي		ط دار الجيل ت. ط١٤١٢هـ-١٩٩٢م
٦	البيان العربي	للدكتور بدوي بانة		ط ثالثة
٧	تاريخ الأدب العربي	لكارل بروكمان	ترجمة الدكتور عبدالحليم النجار	
٨	تاريخ جرجان	حمزة السهمي	الخضري	
٩	تاريخ الدولة العباسية			
١٠	تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن.	لابن أبي الإصبع المصري	دكتور/ حنفي محمد شرف	أصدرها محمد توفيق وبضة٢٥٣ ، ط الجنة إحياء التراث الإسلامي. ت.ط بدون تاريخ.
١١	تيارات أدبية بين الشرق والغرب	د/ إبراهيم سلامة		
١٢	جمهرة أشعار العرب			
١٣	جنى البديع دراسة تحليلية لمسائل علم البديع	الباحثة		الطبعة الأولى ط/ دار الزهراء للنشر والتوزيع
١٤	دلائل الإعجاز	عبد القاهر الجرجاني	محمود شاكر	المدني بالقاهرة

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	التحقيق	الطبعة
				و دار المدني بجدة ت/ ط الثالثة سنة ١٩٩٢م
١٥	ديوان أبي تمام			
١٦	ديوان الأعشى			
١٧	ديوان امرؤ القيس			
١٨	ديوان البحتري			
١٩	ديوان زهير			
٢٠	ديوان الشماخ			
٢١	ديوان عنترة			
٢٢	ديوان المتنبي			
٢٣	ديوان النابغة			
٢٤	سير أعلام النبلاء			
٢٥	الصاحب بن عباد			
٢٦	صبح الأعشى	القلقشندي		دار الكتبت . ط سنة١٩٣٨م
٢٧	طبقات الشافعي	أبي إسحاق الشيرازي		ط بغداد سنة ١٣٥٦ هـ
٢٨	طبقات الشافعية	أبو بكر هداية الله الحسيني		
٢٩	طبقات الشافعية الكبرى	أبو نصر عبد الله بن تقي الدين السبكي		
٣٠	الطراز	العلوى		
٣١	العقد الفريد	ابن عبد ربه		ط/محمد سعيد

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	التحقيق	الطبعة
				العريان
٣٢	العمدة في صناعة الشعر ونقده	ابن رشيق القيرواني		ط محمد محي الدين عبد الحميد
٣٣	عيون التاريخ			
٣٤	فقه اللغة وأسرار العربية	الثعالبي		
٣٥	القاضي الجرجاني	د/ أحمد بدوي		
٣٦	القاضي الجرجاني والنقد الأدبي	د/ عبده قلقيلة		
٣٧	معاني التراكيب	د/ عبدالفتاح لاشين		
٣٨	معجم الأدباء	ياقوت الحموي		
٣٩	معجم البلدان	ياقوت الحموي		
٤٠	معجم ما استعجم	أبو عبيد البكري		
٤١	من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده	محمد أحمد خلف الله		
٤٢	المنتظم في التاريخ	أبو الفرج عبد الرحمن ابن علي بن جوزي		
٤٣	النثر الفني	الدكتور زكي مبارك		
٤٤	النقد الأدبي	أحمد أمين		
٤٥	النقد المنهجي عند العرب	الدكتور / محمد مندور		ط/ دار نهضة مصر للطبع والنشر
٤٦	نهاية الأرب في فنون الأدب	شهاب الدين النويري		ط/ دار الكتب سنة ١٩٣٩

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	التحقيق	الطبعة
٤٧	الوساطة بين المتنبي وخصومه	القاضي الجرجاني	الدكتور /محمد أبوالفضل إبراهيم،والدكتور علي محمد البجاوي	ط/مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ت – ط ١٣٨٦ هـ _ ١٩٦٦ م
٤٨	وفيات الأعيان	ابن خلكان		ط محمد محي الدين عبد الحميد ت ، ط سنة ١٩٤٩
٤٩	يتيمة الدهر	الثعالبي		